

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: /...../.....

رقم التسجيل ط1: 054107382

رقم التسجيل ط2: 0541004880

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات لنيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري
بعنوان:

صورة الاستعمار في شعر مفدي زكرياء -إلياذة الجزائر أنموذجا -

إعداد الطالبين:

- طيبي عبد القادر

- بن حامد عادل

أمام لجنة المناقشة المكونة من الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة مسيلة	أستاذ محاضر أ	جوبر عبد الحفيظ
مشرفا ومقررا	جامعة مسيلة	أستاذ مساعد أ	معمر عبد الكريم
ممتحنا	جامعة مسيلة	أستاذ مساعد أ	قاني ميلود

السنة الجامعية: 2018م/2019م - 1439هـ/1440هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى عائلتي الفاضلة: أمي أبي وإخوتي وأبنائهم

إلى زوجتي وأبنائي

إلى صديقي و زميلي في الرسالة "عبد القادر طيبي"

إلى كل من عرفني في جامعة مسيلة أهدي هذا العمل

إلى بلدي الجزائر وإلى روح ابنها مفدي زكرياء

إهداء

إلى أُمي الغالية

إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله

إلى إخوتي وأخواتي وأبنائهم

إلى زوجتي

إلى صديقي وزميلي في الرسالة "عادل بن حامد"

إلى كل من عرفني في جامعة مسيلة أهدي هذا العمل

إلى بلدي الجزائر وإلى روح ابنها مفدي زكرياء .

المقدمة

المقدمة :

شغلت مسألة الآخر بال العديد من الأدباء والشعراء لما تحمله من خصوصية متميزة ومتفردة في الكشف عن خبايا الآخر فكانت من بين أهم المواضيع التي سيلت الكثير من الحبر لأهميتها ، وقد عني بها علم الصورة في الدراسات المقارنة ، و اتخذ الشعر الجزائري من الثورة الجزائرية مرجعية أساسية له يرصد من خلالها العلاقة الجدلية المتوترة التي تربط ثنائية الأنا " الجزائر " بالآخر " الاستعمار الفرنسي " .

ونظرا للمكانة الهامة التي عني بها الآخر في أقلام النقاد والكتاب جاءت فكره هذه الدراسة ضمن إلياذة الشاعر الجزائري " مفدي زكرياء " ، فالشاعر استطاع أن يرصد لنا بصور حية نابضة صورة الآخر المتمثل في الاستعمار الفرنسي والذي كانت عن نظرة سلبية بحتة لما رآه منها من مآسي وويلات ومحاولات سجن وتعذيب وتقتيل وبقية الشعب الجزائري لذلك لا يمكننا القول سوى أن الإلياذة هي واقع الجزائر الحقيقي وصورة الآخر الفرنسي الدامية .

وقد حاولنا من خلال هذا البحث الذي يدرس صورة الآخر في شعر مفدي زكرياء تسليط الضوء على إلياذة الجزائر فاتخذناها أنموذجا لهذه الدراسة ، فما هي الصورة ؟ ومن هو الآخر؟ وما هي ملامح صورة الاستعمار التي تناولها مفدي زكرياء في شعره و كيف تجلت صورة هذا الآخر في إلياذة مفدي زكرياء؟ .

هذا ما سعينا للكشف عنه من خلال تناولنا لموضوع بحثنا الموسوم ب " صورة الاستعمار في شعر مفدي زكرياء _ إلياذة الجزائر _ أنموذجا " .

ويعد الشعر الجزائري عموما مليئا بالأحداث التي حفرها المستعمر في ذاكرة الشعراء فصورتها أقلامهم الدامية ، ومفدي زكرياء أحد أهم هؤلاء الشعراء الذي عني في شعره بمسألة الوطن وقاسى من معاملات الآخر التعسفية بسبب قول أو حتى فكره لم ترى للنور وجها بعد ، مما ولد لديه ذلك الشعور بنظرة الآخر التهكمية فزاده لهيبا وحرقة في أن يبدع شعرا

يصور لنا فيه صورة الاحتلال الغاشم ، ويرجع سبب اختيارنا لموضوع بحثنا هو أنّ جل الدراسات التي كانت في شعر " مفدي زكرياء " إنّما توجهت للاتجاه الثوري وهناك من تناوله في دراسته لإبراز البنية الجمالية في شعره وغفلوا عن تناول موضوع صورة الآخر .

كما أن شغفنا الشديد بالشعر الجزائري وتحديدًا بمفدي زكرياء دفعنا لأن نختصّها بدراستنا لأجل توسيع دائرة البحث والنظر إلى الشعر الجزائري عموماً وشعر مفدي زكرياء خصوصاً من زاوية أخرى .

وإشكالية الآخر مسألة نالت اهتمام الشعراء على مر الزمن ، إذ ليست بالجديدة على أدبنا العربي حيث تناولها الأدباء في أعمالهم خصوصاً الرحالة العرب وما كتبوه عن الآخر ومن بين أهم الرحالة العرب القدامى الذين كتبوا عن الآخر نجد ابن فضلان في القرن 10 م في رحلته إلى بلاد الصقالبة والذي كتب عن المرأة في وضعها وحركتها باعتبار الاختلاف الثقافي ، كما نجد ابن بطوطة أشهر رحالة العرب والذي كتب عن الآخر الإفريقي المسلم ، في حين كتب ابن عثمان المكناسي من بلاد المغرب كتابه المسمى " البدر الساخرة لهداية المسافرين إلى فكاك الأسرى من يد العدو الكافر " فكان في كتابه أكثر من آخر وأكثر من صورة ، إلا أن هذه الكتابات الأولى التي تطرقت للآخر كانت عبارة عن أعمال نثرية أمّا بالنسبة لدواوين الشعر فلا نجده يتعدى القصيدة الواحدة عند معظم الشعراء ، وهو ما سنشير إليه لاحقاً .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي كونه الأقرب إلى وصف ما جادت به قريحة الشاعر عن الآخر الفرنسي من صور ، لكننا وجدنا أن المنهج الوصفي وحده لا يكفي في تحقيق ما نصبوا إليه ، فاستعنا بإجراءات المنهج النفسي الذي يكشف لنا عن الخبايا التي يضمها الشاعر للآخر الفرنسي والتي كانت وليدة القهر والمعاناة من مستعمر حقير ضلّ يتفنن في تعذيبه ويصدّرُ نمطيّة الجزائري للعالم وبيراً نفسه على السّاحة الدولية ، كما وظفنا التحليل النصّي لبعض نصوصه الشعرية وفق ما يتناسب وحمولاته الفنية .

وقد جعلنا رسالتنا هذه في مقدمة وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفتاونا في التمهيد مسألة تشكل الأنا والآخر التي ترتبط بمسألة الهوية و الغيرية، وحاولنا الكشف عن بعض الصور النمطية التي رسمها الآخر الغربي للعربي في صورة تمثّلات أدبية فوقنا على أهمّها، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى محاولة رصد أهم ملامح صورة الاستعمار فكانت عبارة عن ملامح مادية متمثلة في شخوص حيوانات و ملامح معنوية تحمل في طياتها الكثير من معاني الانحطاط والنّذالة للآخر الفرنسي، أمّا الفصل الأول فقد تعرضنا فيه إلى مفهوم: الصورائية والآخر، كما تطرقنا لمسألة الآداب العربية والغربية وتلقيها لصورة الآخر، لنختم بذلك الفصل الأول بمبحث أفردناه لدراسة حضور صورة الآخر الإسلامي في المخيال الأوروبي، أما الفصل الثاني فقد خصصناه للتعريف بالشاعر مفدي زكرياء فتناولنا حياته وتتبعنا مسار حركته الشعرية والأدبية والسياسية بإيجاز، وذكرنا بعضا من مؤلفاته، أما المبحث الثاني فكان للكشف عن صورة الاستعمار عبر تجليات المكان ووجدنا أنّها مرتبطة بنوعين من الفضاءات هما: فضاءات مفتوحة وأخرى مغلقة، أما عن المبحث الأخير فكان عن صورة الاستعمار في إيّاذة الجزائر "المفدي زكرياء" والتي حملت أربع صور وهي: صورة فرنسا الطاغية، وصورة فرنسا المنكسرة، وصورة فرنسا المتمدّنة لنختم بذلك المبحث الأخير بصورة الحركي الذي اعتبره الشاعر آخر فرنسيا.

وموضوع صورة الآخر إنّ تمت دراسته في الأدب الجزائري فقد تم تخصيصه للأدب النثري أو المسرحي، فارتأينا بذلك أن ندرس صورة الآخر من منظور الأنا الجزائرية انطلاقا من إيّاذة الجزائر الخالدة لنضفي جانبا جديدا إلى البحث وهنا تكمن أهمية دراستنا.

وككل باحث واجهتنا بعض الصعوبات التي استطعنا بتوفيق من الله التغلب عليها أهمها:

1_ أن جل من تناولوا الشعر الجزائري لم يتعرضوا لصورة الآخر حيث غلب على بعضهم التوجه السياسي وعلى البعض الآخر التوجه النضالي الثوري.

2_ أن جل من تناولوا شعر مفدي زكرياء بالدراسة لم يتطرقوا لمسألة الآخر أو صورة الآخر الفرنسي ، وهو ما صعب علينا التوصل لدراسة نستعين بها على ضلالنا لجل عناصر البحث إلا أننا استطعنا التغلب عليها في نهاية الأمر .

وكل بحث علمي يسعى لبلوغ الهدف يحتاج إلى مصادر ومراجع يذكي بها دراسته فقد اعتمدنا على بعض المصادر من بينها : الياذة الجزائر "لمفدي زكرياء" والتي شكّلت محور البحث، إضافة إلى بعض المراجع أهمها : نصر الدين بن غنيسة " عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة" والذي اضطررنا لاقتنائه ورقيا لعدم توفره على نسخ الكترونية منه وان كانت تضاف هذه الأخيرة إلى الصعوبات التي اعترضتنا ، كما اعتمدنا على كتاب الطاهر لبيب " صورة الآخر ناظرا ومنظورا إليه" ، وكتاب : "صورة الآخر في الشعر العربي" للدكتور فوزي عيسى .

وختاما نأمل أن نكون قد وفقنا في اضافة الجديد لهذا الموضوع.

وأخيرا ليس هناك أفضل من الاعتراف بفضل الآخرين حيث نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى مرشدنا ودليلنا الأول في انجاز هذا البحث : "معمري كريم" والذي كان لنا خير معين وخير ناصح لإتمام هذا البحث ، فلم يبخل علينا بوقته ولم يتوانى لحظة في توجيهنا وإرشادنا وسخر كل طاقته لسبيل إنجاح هذا البحث والتي بفضلها أتممنا رسالتنا كما نتقدم بموفور الشكر لكل من ساهم في انجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد.

ملحق الاختصارات

تح : _____ تحقيق

تر : _____ ترجمة

ع : _____ عدد

د ن : _____ دار نشر

د د ن : _____ دون دار نشر

د ط : _____ دون طبعة

ر ن : _____ رقم النشر

د ت : _____ دون تاريخ

ص : _____ الصفحة

ص ص : _____ من الصفحة إلى الصفحة

مج : _____ مجلة

شر : _____ شرح

شر وتح : _____ شرح وتحقيق

ع.ف : _____ عدد الفصل

شجرة

تمهيد:

عنيت الدراسات الأدبية المقارنة بدراسة صورة الآخر لما لها من خصوصية متفردة في الكشف عن التصورات المغلوطة التي بلورها الآخر عن الأنا ، فدراسة صورة الآخر تقتضي أن تكون هناك علاقة ثنائية مع الأنا ، ورغم هذه الأهمية الكبيرة إلا أنها لم تحظ بتلك الدراسات المستفيضة في حقل الشعر تحديدا على عكس الرواية التي نالت حظها الوافر في ذلك ، لذلك بقيت هذه الصورة عن الآخر يكتنفها الكثير من الغموض والتعتيم والتضليل خصوصا أن مفهوم الآخر يثير الكثير من الجدل ويسمح بالتباين والاختلاف حوله ويظهر في نظر الكثيرين غير محدد على نحو دقيق .

و«يرى بعض النقاد أن مفهوم الآخر هو المضاد للذات والوجه المقابل أو النقيض لها وتأسيا على ذلك فإنهم يوسعون دائرة المفهوم بحيث يشمل كل من يغير الذات على الإطلاق»¹، وفي الشعر يمكن للآخر أن يكون هو : المهجو، أو الممدوح ، أو المرثي، أو المرأة أو حتى أحد المنقسمين أو المتمردين على الأنا.

وباعتبار العلاقات الإنسانية التي تربط شعوب العالم كان ينبغي لعلاقة الأنا بالآخر أن تكون علاقات ودية أساسها التفاهم والاحترام وتبادل الثقافات ، وإن حدث ووقع الاختلاف فالأولى أن لا يؤدي إلى المخاصمة والصدية ذلك أن اختلاف الرأي لا يفسد الود قضية، إلا أن ما يحدث عادة بين الشعوب خصوصا في السياسة يؤدي إلى عكس هذا تماما فنجد الحروب والثورات قد قامت إما لسبب اختلاف في الإيديولوجيات أو بسبب تلك العلاقات التي تربط الشعوب بين بعضها فتجعلها عرضة للاستعمار من غيرها وهو ما حدث للجزائر ، والحديث عن هذا الموضوع يدخل في ميادين عديدة غير محصورة بمجال واحد فيمكن ان يكون على أصعدة سياسية أو حضارية ، أو حتى نفسية ويمكن أن تكون أدبية ، وصورة

¹ فوزي عيسى، صورة الآخر في الشعر العربي، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ط خاصة
_بمناسبة انعقاد ملتقى " من أجل التعايش السلمي" _، دبي من 16 إلى 18 أكتوبر 2001، ص5

الآخر موجودة في الشعر العربي القديم قبل ان تكون في الجديد ، إذن فهي قديمة قدم الأدب نفسه .

وباعتبار أن الشعر ديوان العرب قديما فقد اعتبر الأقرب إلى الشعراء للتعبير عما يختلج في نفوسهم ويعبرون من خلاله عن الظلم الذي حاق بهم من كل الجهات ولو لم يكن هناك ألم لما أبدع الشاعر في رسم صور متفردة يصور فيها ألمه دون أن يغفل عن صورة الآخر المتسبب في ألمه الذي ألمّ به ، ولو أننا أمعنا القليل من النظر في رسم صورة الآخر بين القديم والحديث لوجدنا الآخر الحالي يختلف عن الآخر القديم ، رغم كون الآخر واحدا _الدخيل أو الغريب_ فالاختلاف يكون في كون أن الشاعر العربي القديم وصف الآخر بصور عديدة انطلاقا من كره وحقد عليه باعتباره يشكل خطرا عليه دون أن يكون ألحق به الأذى ضرورة ، أما في العصور الحديثة فترى للآخر باعتباره أمرين :

الأول :

من خلال تلك النظرة النمطية التي يصورها الآخر عن الأنا فيثير الخوف منه ويدفع إلى الهروب منه واجتنبه بل وفي كثير من الأحيان يحمله كل أسباب الفشل مستعمرا لها مدمرا لكيانها محاولا طمس هويته و التي لا يتوانى لحظة واحدة في إخراجها للعالم فيكون بذلك الأنا هو الآخر الدخيل المهمش الإرهابي فتخلق بذلك شرخا بداخله يظل يعاني ويلاته أينما حلّ إضافة إلى الولايات التي ذاقها من الآخر الغربي جراء حروبه المدمرة ومحاولاته المتسلطة في إبادته والقضاء على وجوده .

الثاني :

تلك النظرة الناتجة عن تقليد الأنا للآخر باعتباره غالبا ، هنا تحديدا تبرز نظرة الغرب الاستعمارية التي حاولت بداية رسمها لنفسها ووصف الأنا العربي بأنه تابع يحتاج للآخر في وجوده وكله عبر تمثلات أدبية، تبرز عدائية الأنا وإرهابيته وتخلفه جهله في حين يبرز فيها الآخر على أنه متقف حضري يعرف مالا يعرفه الأنا وأنه يريد نشر السلام والحضارة لمثل

هؤلاء الشعوب وأن واجبها من يدفعها لذلك ، وهو تحديدا ما تعرضت له الدراسات الأدبية الديكولوجية وعلى رأسهم إدوارد سعيد في كتابه الثقافة والامبريالية وكتابه "الاستشراق" ، والذي حاول من خلالها أن يبرز ما حاكه الغرب من تمثيلات عن الشعوب العربية ، إلا أن المجال لا يسعنا هنا للحديث عن كل هذا وإبراز الصور النمطية التي رسمتها الشعوب المستعمرة للآخر باعتبار أن موضوع الدراسة يدور حول نظرة الأنا أو الصورة التي رسمها الأنا عن هذا الآخر ودون الخوض في الجدلية القائمة بين الذات والآخر فإننا ارتأينا ضرورة حصر عملنا هذا تحديدا على " صورة الاستعمار في شعر "مفدي زكرياء" "القيادة الجزائرية" أنموذجا .

إن العودة قليلا إلى تاريخ ما بعد احتلال الجزائر_1830م_1954م لوجدنا أن فرنسا بصفتها آخر مستعمر قد حاولت جاهدة أن تبرز للرأي العام العالمي صحة ما تطرقنا إليه حين بررت سبب احتلالها للجزائر على أنه ذا أبعاد حضارية هدفها النهوض بالجزائري والحاقه بركب الحضارة المتقدمة وهو ما كان تغليظا للرأي العام العالمي .

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن دراسة الآخر تقتضي الوقوف على أنواعه التي نرى أنها تتحدد في نوعين اثنين هما : صورة سلبية وصورة ايجابية

ونظرا للجرائم التي ارتكبتها المحتل في حق الجزائر فقد كانت نظرة الشاعر باعتباره يمثل الأنا للآخر_الاستعمار_ صورة سلبية في مجملها حيث عمد الشاعر إلى تقديم صور حية في تاريخ الجزائر عن أشنع الأعمال المرتكبة في حق الشعب الجزائري مستعينا بشواهد من الطبيعة تارة ومن المدنية تارة أخرى ،مثلت لنا فضاءات متنوعة رسمت لنا شعور الشاعر في رسمه لصورة الاستعمار حيث شكلت الفضاءات المفتوحة في الإلياذة متنفسا للشاعر أو بمثابة هروب له من مآسي المستعمر عبر تذكر البطولات والهيام بجمال البلاد التي ظهرت فيها نفسيته محترقة متأثرة لفقد جنته _ بلاده _ كما مثل لنا الفضاء المفتوح صورة الآخر المستعمر الذي عاش في بلاد الجزائر يجوب شمالها وجنوبها شرقها وغربها

بكل حرية يتحكم في خياراتها ويستغل شعبها وممتلكاته أشنع استغلال ، أما الفضاءات المغلقة فقد شكلت لنا الخناق الذي طبق على الجزائريين من طرف السلطات الإستعمارية فبرزت لنا صورة الإستعمار من جانب آخر وهو سياستها الدامية المفروضة على الشعب حين ضيقت عليه كل السبل فلا هي تركته حياً لكونها تبيد من يعارض ومن لا يعارض سياستها، ولا هي منحتة بعضاً من حقوقه .

وقد نظمت إلياذة الجزائر لتخلد تاريخ الجزائر وتكون شاهداً حياً على أعمال فرنسا الوحشية فهي تاريخ ما بعده تاريخ وحقيقة ما بعدها حقيقة ، فجاءت بذلك إعادة طرح لقضية مغلوطة فيها ولحقيقة مخبأة وراء تظليلات فرنسا فهي إعادة اعتبار الجزائر وكشفت الآخر _ الاستعمار الفرنسي وأعماله _ كما كانت بمثابة تصحيح للتاريخ، باعتبارها من الأدبيات الشعرية المضادة .

ومن خلال ما سبق طرحه وبعد تلك التوضيحات حول نظرة الآخر، للأنا العربي عموماً ، ونظرة الأنا الجزائري _ مفدي زكرياء _ لهذا الآخر سنحاول الوقوف عند بعض من ملامح صورة الآخر _ الاستعمار الفرنسي في شعر إلياذة مفدي زكرياء كفاتحة للصورة التي سيتم رصدها عبر الإلياذة في الفصلين القادمين :

ملامح صورة الآخر _ الاستعمار الفرنسي _ في إلياذة الجزائر :

أولاً : الملامح المادية أو الحسية:

برع الشاعر الجزائري " مفدي زكرياء " في رسمه صور متنوعة للاستعمار الفرنسي يعكس من خلالها رؤيته لهذا المحتل الغاشم ، فجاءت وليدة مشاعر سخط وغضب تأجبت في صدره تجاه من سلبه أرضه وعاث فيها فساداً وسفك الدماء وانتزع منه حريته ومن بين هذه الصور التي رسمها الشاعر نجد :

1_ القروود:

قراصنة البحر عاثوا فسادا فأدب ليث البحار القروذ¹

من الصفات التي يتصف بها القروذ عادة هي المسخ ، كما يمتازون بصفة الخراب والفساد وكذلك الاستعمار ممسوخ بأفعاله وصفاته ، ويشترك معه في التخريب والفساد أينما حلّت لكن الشاعر وصف لنا نهايتهم المخزية حين قال فأدب ليث البحار القروذ.

2_ اللصوص:

ومروحة الداى لم تك إلا كما يستبيح اللصوص الحرّاما²

فصورة اللّصوصية التي رسمها الشاعر للاستعمار الفرنسي ناتجة عن العلاقة بين اللص والمحتل فكلاهما يسرق حق غيره ويغتصبه ، فوصفهم باللصوص الحرّاما مما يعكس لنا صورة المستعمر الدنيئة الذي يغتصب وينتهك الحقوق ويتولى على الأراضي بدون وجه حق وكان الشاعر هنا قد بين السبب التافه الذي قدمته فرنسا بداية كسبب لاستعمارها الجزائر وهو حادثة المروحة التي لا تقنع غافل أو مجنونا بحجتها .

3_ الصراصير:

وهل يخفض ابن الجزائر هاما ويحني جبيننا أما الصراصير³

تعد الصراصير من أقدّر الحشرات وأضعفها وأجبنها والتي يسهل القضاء عليها ، كما تثير الاشمئزاز لدى رائيها والصورة التي رسمها " مفدي زكرياء " لجيوش الاحتلال أن جمع بين جبن وقذارة الجنود وجبن وقذارة الصراصير، وكلّه بصورة تهكمية من الآخر الفرنسي الذي كان يظن أن أسود الجزائر ستتحني أمام صراصير عفنة قدرة جبانة .

4_ البوم:

¹ مفدي زكرياء، الياذة الجزائر ، إياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، دط، 1987، ص52

² المصدر نفسه، ص53

³ المصدر نفسه، ص 60

وأقسم أن لا يعيش النها ر عميلا يوفر للبوم زادا¹

يعرف طائر البوم في الحضارات القديمة أنه طائر شرير أو رمز للموت وقد كانت العرب تتطير منه وتعتبره طائرا مشئوما يجلب الشر والحظ السيئ للموطن الذي حلّ به وهذا ما حل للجزائر حين احتلته فرنسا فجلبت له الدمار والموت والحرب باحتلالها له فالصورة التي تربط الاستعمار الغاشم بالبوم هي " النحس والشؤم" لكل مكان تحل عليه .

5_ الحمير:

وتدمع بالعلم من جادلوك فكنت الضليع وكانوا الحمير

تعرف الحمير بغبائها وخمولها وصورتها المنفرة فهي لا ترى غير الشياطين ، وقد جعل الشاعر صورة الاستعمار وصرة الحمير واحدة وهي الاستعمار فكيف يعقل لبليد لا عقل له أن يحاجج عالما برتبة الأمير عبد القادر ويحاول تعجيذه !!فكانت الصورة لخواء العقول من العقول .

ثانيا :ملاح معنوية:

1_ الإفساد والتخريب:

عايش الشعب الجزائري مدة قرن ونصف القرن إفساد الاستعمار الفرنسي بكل مراحل وأنواعه ، فصفة الفساد والتخريب هي من صفات الاستعمار الفرنسي ، فما طبقت على الجزائر لم تطبقه على سواها ، نهبت وأحرقت وسفكت الدماء ،ونلمس هذا جليا في اليأزة مفدي زكرياء:

وجنت فرنسا لإضراب شعب فعانت بأرض البلاد فسادا²

والصورة التي تربط إفساد المجنون وإفساد فرنسا هو اللاعقلانية التامة .

¹ مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص77

² المصدر نفسه، ص77

2_ الغدر ونقض العهود:

من عادة فرنسا نقض اليمين والعهد والغدر من الخلف فلا أمن معها ولا عهد يقام معها.

وباعت فرنسا ضمير اليهود فباع ضمير اليهود الذمام¹

هنا صفة مشتركة بين اليهود والفرنسيين وهي نقض العهود والاتفاقات فلا ضمير لها .

وكم عاهدوك ... وكم أخلفوا وكنتم بما يضمرون بصيرا²

كم من مرة تعاهد فرنسا الأمير عبد القادر وتجري بينهم اتفاقيا ثم تنقض ذلك العهد ، لكن الأمير عبد القادر دوما مترقب لذلك فهو أدرى بطباع المستعمر الغادر .

3_ الغباء:

وتغزوا الضلالات في التائهين مع الوهم في موكب الأغبياء³

الغباء صفة نميمة تلاحق أصحاب العقول الراكدة وعادة الإنسان أن يتبع من ينور عقله ويسلك به السبل الناجحة ، لكن بعض عملاء الجزائر باعوا أنفسهم للاستعمار فاعتبرتهم فرنسا أحد جنودها ومنحتهم امتيازات خاصة لذلك نجد الشاعر لا يفرق بينهم وبين الاستعمار إذ أنهم أصبحوا منه ، والصورة التي تجمع الحركي والفرنسي هي الغباء فكيف يعقل لفرنسا المجهزة بجيش جبان أن تغزو شعبا جبارا لا يمل ولا يستسلم وكيف لشردمة باعوا الوطن أن يصدقوا ترهات هذا الغبي لو لم يكونوا أغبياء مثله فالصورة إذا هي التيه الذي يزج به الغبي نفسه لحماقته وبلاهته وبلادته .

4_ العدو اللدود :

¹ مفدي زكرياء ،المصدر السابق، ص53

² المصدر نفسه ،ص55

³ المصدر نفسه ، ص77

يمثل الاستعمار الفرنسي العدوّ للدود للشعب الجزائري وللشاعر فمتى ما ذكر اسم "فرنسا" متى ما ارتسم رمز البغاة في ذهن الجزائري ، إذ يعتبر رمزا للعداوة والضلالة والشرّ يقول الشاعر مصرحا بعوده :

فكانوا البغاة وكنا المنايا وكانوا البغاث وكنا الكواسر¹

إلا أنه يستهزئ بقوة عدوّه فإذا كان عدوّه يمثل صورة الباغي الذي يرحم فالجزائري هو الموت المحتم لهذا الآخر لا يرضى إلا بموت عدوّه ، فكانوا بذلك كالطير الجريح الذي خرج منهزما في حين كان الشعب الجزائري كاسرا في الحرب لا يخشى الأهوال ، فكانت الصورة التي تجمع بين فرنسا الطاغية وبين الطير البغاث هي نهاية كل مستبد.

5_ اللثام:

من عادة اللئيم التمرد مع من أحسن إليه وقد كانت الجزائر تغدق على فرنسا بالمساعدات والتعاملات التجارية بالديون والقرض حتى تراكمت ديون الآخر فغدرت بالجزائر على حسن صنيعها معها ، يقول:

وكم أبطّهم قمحنا الذهبي وكم تبطر الصدقات اللثاما

فقد كانت العرب قديما تحذر من الإحسان إلى اللئيم حتى قيل ذات يوم : إذا أكرمت الكريم ملكته وإذا أكرمت اللئيم تمردا، فكانت صورة اللئيم وفرنسا هي هي صفة التمرد على صانع المعروف معها.

6_ الجياع:

استطاع الشاعر الجزائري أن يحيك لنا صورة جمالية عن فقر فرنسا فكان الخطاب موجها لفرنسا يذكرها بماضيها وكيف كانت تأخذ الصدقات من الجزائر فكيف لها أن تقول

¹ مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص56

اليوم أن هذه الثورة ثورة جياح وهي من ترتجي فضلا من هذا البلد فكانت الصورة تعبيراً
عن فقر فرنسا:

وجاعت فرنسا فكنا كراماً وكم تبطر الصدقات اللئاماً¹

¹ مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص 53

الفصل الأول

1_ في مفهوم الصورائية والآخر بوصفها ناظرا ومنظورا إليه:

أ_ مفهوم الصورة : لغة واصطلاحا

ب_ مفهوم الآخر: 1_ لغة واصطلاحا

2_ في المعاجم الفلسفية

2_ الأداب العربية والغربية وتلقيها لصورة الآخر:

أولا: حضور صورة الآخر في الشعر العربي:

ثانيا: حضور صورة الآخر الأجنبي في أدب الآخر الفرنسي

ثالثا: حضور صورة الآخر الإسلامي في المخيال الأوروبي

في مفهوم الصورائية والآخر :

«بدأ الاهتمام في العقود الأخيرة بأحد فروع الأدب المقارن وهو دراسة الصورة الأدبية أو دراسة التمثيلات الأدبية للآخر أو الصورولوجيا *imagologie* وأن دراسة التمثيلات الأدبية للآخر ومواجهتها بتمثيلات الذات تشكل منحى جديدا ومثمرا في الدراسات النقدية ويشكل في الوقت نفسه مساهمة قيمة في حوار الثقافات»¹، و بعد سنوات طويلة من البحث والدراسة والتقصي تمكنت الدراسة المقارنة من الاستقلال بذاتها عن بقية الدراسات الأدبية لا سيما النقدية وانتهت اثر ذلك إلى مجالات بحث كبرى من بينها والصورة فما هي الصورة؟ وماهي أنواعها؟ وما المقصود بالآخر؟ وكيف تلتقت كل من الآداب العربية والغربية صورة هذا الآخر؟ وماهي أهم العوامل التي ساهمت في نشأة ما يسمى بالآخر؟ .

أولا : مفهوم الصورة :

«يعد مجال دراسة الصورة حقلًا وفرعًا من فروع الأدب المقارن المستحدثة قياسا بنظرياته من الدراسات الأخرى " التأثير والتأثر، حقل الموضوعات... " وغيرها وهذه الحداثة هي التي صعبت دراسة الصورة وجعلت منها دراسة صعبة المنال خصوصا من حيث المنهج المتبع، وبالرغم من ذلك فقد نالت الصورة حظها من الدراسة لدى الباحثين والدارسين المقارنين وسخروا جهودهم للتعريف بها وتطير ميادين دراستها ، فاكتمت بذلك الصورة مكانة هامة وأصبحت من أهم المصطلحات تداوليا بين الباحثين والمشتغلين في ميدان الأدب والفكر المقارن ورغم ذلك فما زال المصطلح يحتوي على الكثير من الخصوصية والنسبية والمفاهيم الذاتية»² .

¹ ينظر نادر كاظم ، تمثيلات الآخر ، صورة السرد في المتخيل العربي الوسيط ، بيروت لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دط، 2004 ص ص 37_39

² أمينة سوفلان ، صورة الجزائر في الأدب الفرنسي (غي دوماباسان والبير كامو) نموذجاً ، رسالة ماجستير ، مخطوطة ، كلية اللغة والأدب العربي ، جامعة الجزائر ، 2008/2009 ، ص ، 84 ، بتصرف

أ_ الناحية اللغوية:

تعددت معاني اللغوية للصورة الأدبية في المعاجم اللغوية العربية دون أن تتطوي تحت مفهوم واحد فجاءت لفظة الصورة من :

صَوَّرَ ، يَصَوِّرُ ، تصوير الشيء : جعل له صورة مجسمة لقوله تعالى : ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾¹.

ونقول صَوَّرَ أي جعل له صورة وشكلا وشخصا أي وصفه وصفا دقيقا .

روى بصورة حية : صَوَّرَ حادثة ، صَوَّرَ حياة ، أبرز شيئا وأعطى فكرة واضحة عنه بوصفه يكشف عن جزئياته ، صَوَّرَ معاييب².

أما في معجم المعاني الجامع فجاءت صورة الشكل جمع صور، وصور، وصور ، ويقال صِيرَ : الحسنها ، وقد صَوَّرَهُ فتصور وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة

صَوَّرَ: مال ، وهو أَصَوَّرَ ، و صار وجهه ، يَصَوِّرُهُ ويصيره أقبل به صار³

«وقد تأخذ الصورة معنى الصفة والهيئة، فنقول: تصوَّرت الشيء أو توهمت صورته ، فتصوَّر لي ،قال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى وحقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته ، يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئة وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته»⁴.

في المعنى الديني: جاء " المصور " وهو الذي يقوم بعملية التصوير ومنه التجسيد ، وهي صفة واسم،من أسماء الله الحسنى ﴿هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ

¹ الآية 3،سورة التغابن

² حنا غالب، كنز اللغة العربية ، مكتبة لبنان ، ناشرون ،بيروت ط2003،1،ص389

³ ابراهيم أنس وآخرون ،المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية للنشر ، مكتبة الشروق الدولية، مج 1، ط4، 2004 ،

ص815

⁴ جمال الدين، ابن منظور،لسان العرب مجلد 1 ، ط3 ، دار صادر للنشر ، بيروت، 1414هـ ، ص304

لَهُمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ¹. ويقول ابن سيّدة بأن الصورة تكون في الشكل ، ومنه قوله تعالى: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾².

ومما سبق نجد أن الصورة :

1_ جاءت بمعنى رسم مثل خط،خط

2_ بمعنى وصف

3_ بمعنى شكل، كون ، خلق

4_ بمعنى خيّل له ، بداله ، تخيّل ، ظنّ واعتبر ، حسب ، خال ، كوّن انطبعا

5_ صَوْرَة : بمعنى رسم، شكل ،هيئة،مظهر ، تكوين، قيافة³.

أما من الناحية الاصطلاحية : «أما في المعنى الاصطلاحي المبسط هي : وصف وتشكل انطباع عن أمة ما لدى الأخرى تعد دراسة الصورة الأدبية أو صولوجيا⁴» ، « أحد فروع الأدب المقارن وأحدث مجالات البحث فيه وأهمها إذ يتقاطع هذا النوع من الدراسات مع البحوث حول ثقافات أخرى ، والغيرية والمثاقفة ، والرأي العام أو الخيال الاجتماعي⁵»

ثانيا : مفهوم الآخر:

¹ الآية 24، سورة الحشر

² الآية 8، سورة الانفطار

³ روجي البليكي ،المورد الثلاثي ،قاموس ثلاثي اللغات،دار العلم للملايين ، ط1، 2005،ص1070

⁴ بن قسمية سكينه، صورة الغرب في الرواية الجزائرية، صورة الفرنسي أنموذجا،مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الأدب والفنون، جامعة، عبد الحميد بن باديس

مستغانم،الجزائر،1437_1438هـ_2016_2017م

⁵ عز الدين منصرة،النقد الثقافي المقارن، منظور جدلي تفكيكي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان الأردن ط 1

، 2005 ، ص194

« يكتسي مفهوم الآخر حلة لغوية واصطلاحية وفلسفية جعلت منه مفهوما غنيا بألوان
فسيفسائية متنوعة ، وسنحاول في هذا المقام توضيح هذه الرؤى بدءا من الناحية اللغوية»¹.

أ_الناحية اللغوية:

جاء " الآخر" في لسان العرب اسم على وزن أفعل والأنتى هي الأخرى ، إلا أن فيه
معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة وتصغير آخر أو يخر، وقوله تعالى
: ﴿ فَأَخْرَانِ يَتَمَتَّعُونَ ﴾²، وقد فسره "الفراء" فقال: معناه أخران من غير دينكم من
النصارى واليهود، والجع بالواو والنون وأخريات وآخر ، وحكى بعضهم : أبعد الله الآخر،
ويقال لا مرحبا بالآخر أي بالأمد³

«كما يكون الآخر: غير، جمع آخر وأخريات ، ومن الكناية (أبعد الله الآخر) ، أي من
غاب عنا وليس منا»⁴.

ويرى أبي بكر ر الرازي أن : « الآخر بفتح الخاء يدل على أحد الشئيين وهو اسم على
أفعل والأنتى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة وجاء
في أخريات الناس ، أي في أواخرهم ولا أفعله أخرى الليالي ، أي أبدا وباعه بآخرة بكسر
الهاء أ بنسيئة وعرفه بآخرة بفتح الخاء أي أخيرا وجاءنا آخر بالضم أي أخيرا، ومؤخر العين
بوزن مؤمن مايلي الصدغ ومقدمتها مايلي الأنف ومؤخرة الرجل، أيضا لغة قليلة في آخرة
الرجل وهي التي تستند إليها الركاب ولا تقل عن مؤخرة الرجل ومؤخر الشيء بالتشديد ضد

¹ عبد الله أوغرب، الذات والآخر الغربي في روايتي الغربية واليتيم لعبد الله العروي، مشروع الرواية المغاربية الحديثة
والمعاصرة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 1432،1433هـ _
2011،2012م ، ص77

² الآية 107، سورة المائدة

³ ابن منظور، المصدر السابق، ص29، مادة آخر.

⁴ لونيس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، والمكتبة الشرقية ، لبنان ،دط، 1991، ص5

مقدمة وأخر جمع أخرى وأخرى تأنيث آخر وهو غير مصروف¹، ويبرر ذلك بقوله : « لأن أفعل الذي معه من لا يجمع ولا يؤنث مادام نكرة تقول مررت برجل أفضل منك ، وبرجال أفضل منك وبامرأة أفضل منك ، فإن أدخلت عليه الألف واللام أو أضفته تثيت وجمعت، وجمعت وأنثت وأنت تقول مررت بالرجل الأفضل وبالرجلين الأفضلين وبالرجال الأفضلين وبامرأة الفضلى وبالنساء الفضل ومررت بأفضلهم وأفضليهم وبفضلاهن وبفضلهن، ولا يجوز أن تقول مررت برجل أفضل ولا برجال أفاضل ولا بامرأة فضلى حتى تصله بمن أو تدخل عليه الألف واللام وهما يتعاقبان عليه وليس كذلك آخر لأنه يؤنث ويجمع بغير من وبغير الألف واللام وبغير الاضافة تقول مررت برجل آخر وبرجال آخر وآخرين وبامرأة أخرى وبنسوة آخر فلما جاء معدولا وهو صفة منع الصرف وهو مع ذلك جمع فإن سميت به رجلا صرفته في النكرة عند الأخفش ولم تصرفه عند سيبويه² .

ب_ الناحية الاصطلاحية: l'autre

يعتبر الآخر موضوعا خصبا لا زال قيد النقاش لدى المهتمين بالحقل الفلسفي والحقول المفاهيمية الأخرى الراغبة في وضع الأطر الصحيحة للمصطلحات.

ف نجد «الآخر يأتي بمعنى صفة كل ما هو غير أنا وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا مقولة ابستمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة ، أي كينونات موضوعية³ .

ومنه يتجلى " « الآخر في أبسط صورته هو مثل أو نقيض "الذات" أو "الأنا" وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب سواء الاستعماري (الكولونيالي) أو ما بعد الإستعماري وكل ما يستثمر أطروحاتها مثل النقد النسوي، والدراسات الثقافية والاستشراق ، وقد شاع

1 محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، محمد محمد ثامر للنشر ،دط،دت،ص ص 12،13،مادة أ

خ ر

2 المصدر نفسه، ص 13

3 سلاف بوحلايس،صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب

الجزائري،الحديث،معهد الآداب ، باتنة ، 2008_ 2009،ص8

المصطلح في الفلسفة الفرنسية المعاصرة خاصة عند جان بول سارتر، وميشيل فوكو، وجاك لاكان، وإيمانويل ليفينياس وغيرهم ¹.

و يرى «المعنيون بأمر المصطلح أن معناه يقوم على ثلاثة محاور كبرى ، فالآخر هي أكثر معانيه شيوعا يعني شخصا آخر أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحدة ، وبالمقارنة مع ذلك الشخص أو المجموعة تستطيع اختلافي (أو اختلافنا) عنها ، وفي مثل هذه الضدية ينطوي هذا التحديد على التقليل من قيمة الآخر وإعلاء قيمة الذات أو الهوية ويشيع مثل هذا الطرح في تقابل الثقافات خاصة ، وهذا ما يسود عادة في الخطاب الاستعماري»²، «الذي ارتسم في صورة ثنائية الأنا_الآخر القائمة على عقد الدونية والفوقية»³.

أما المحور الثاني لمصطلح «الآخر يتمثل في "الآخر" "المشهدي" فعند " جاك لاكان" الطفل في مرحلة النمو يحاول دائما تحقيق صورته المثالية المنعكسة في المرآة في كل مكتمل والسيطرة على جسده ، لكن هذا المشهد أثرا تغريبيا إذ أن السيطرة محالة، وبالتالي فإن لهذه الغيرية جانبها التهديدي في صورة الآخر المثل ⁴

ويتجسد المحور الأخير: « الآخر الرمزي وهو عند لاكان وغيره من المفكرين الفرنسيين اللآخر بامتياز ، حيث يرون جميعا أن كينونة المرء لا تتحقق إلا من خلال القدرة على القول لكن هذه القدرة تعتمد على استخدامك نظاما تمثيلا (اللغة) يسبق وجودك»⁵وقدأكد

1 د،ميجان الرويلي، دسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ، لبنان، ط، 4 ، 2005، ص21

2 المرجع نفسه، ص23

3 نصر الدين بن غنيسة، عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة، منشورات ضفاف، بيروت لبنان، منشورات

الاختلاف، الجزائر ، دار الأمان للطباعة ، ط1، 1433هـ/2012م، ص11

4 سيجان الرويلي، المرجع نفسه، ص ص 23، 24

5 سيجان الرويلي، المرجع نفسه، ص24

فوكو ميشال" إلى أن « الآخر من تشكيل الخطابات المولدة للمعنى والمعرفة كسلطة أو كقوة وبالنسبة لبعض المفكرين فإن اللغة كسجل رمزي كامل تلعب دورا مفصليا في بناء الذاتية والآخر معا ، فاللغة في هذا السياق هي المنظومة اللسانية والثقافية والقيم والمضامين الاجتماعية»¹ .

هذا في ما يتعلق بالجانب الاصطلاحي لمفهوم " الآخر " هذا الآخر الذي أقام من أجله الفلاسفة القدماء والمحدثون حيزا هاما من البحث والتأمل فما هو مفهوم الآخر في الاصطلاح الفلسفي ؟

ج من الناحية الفلسفية:

يرى محمد الجابري أن «مفهوم الآخر مفهوم منطقي مرتبط بمفهوم الهوية في الفلسفة اليونانية ، أما الآخر بالمفهوم المعاصر فمفهوم ايديولوجي والدليل على ذلك هو أن ثقافتنا التي عمرت خمسة عشر قرنا لا يوجد فيها هذا المفهوم، وحتى مصطلح الآخر مصطلح غير صحيح لغويا (بالعربية) إذ لا تدخل "ال" التعريف على "آخر" ما هو موجود في العربية هو "غير" لكن بدون ألف التعريف»².

فالأحالة المتعلقة بمفهوم الآخر لدى الحضارات القديمة ، وخصوصا الحضارة اليونانية تفضي إلى: « الغموض العميق من أجل الآخر بشكل أو بآخر أو الوعي المضاف»³، وفي فلسفة سارتر الوجودية «الآخر عامل فاعل في تكوين الذات فوعي الذات الوجودي يتأسس

1 أزراج عمر ، طرق بناء الغيرية، أزراجيات، جريدة الخبر اليومية، الجزائر، العدد 5931، 10 مارس 2010

2 نعيمة حاج عبد الرحمان الأزهري ربحاني، لقاء مع محمد عابد الجابري، مجلة أيبس ، الجزائر ، العدد 2 ، السداسي الأول ، 2007، ص65،

3 علي حرب ، النص والحقيقة 2، نقد الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص29

تحت تحديق الآخر ولكن الآخر ليس آخراً أخيراً بل ينطوي على عداء يدمر إنسانيتنا لأنه يخلق الكينونة أو الوجود بطريقة جبرية وغير مستقلة بين لحظتي ماكان وما سيأتي»¹

نستنتج مما سبق أن «المتتبع لمجال البحث في الآخر والبحث عن الآخر تصادفه كثرة المصطلحات التي تتمفصل في عملية بناء صورة الآخر لنفسه le mere المختلف، المتناقض، المتشابه، الفردي، الكلي، الجزء، الهوية، الداخل، الخارج... الخ»².

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلح الآخر يستعمل منذ القديم للدلالة على الغريب بمعنى نشأ في علاقة ترابطية تجمعته مع الأنا وبما أن موضوع الدراسة هو صورة الاستعمار فقد تحدد لدينا سلفاً أن الآخر هو الاستعمار والأنا هو البلد أو الشعب المستعمر.

الأدب العربية والغربية وتلقيها لصورة الآخر:

أولاً: حضور صورة الآخر في الشعر العربي:

_ في الشعر العربي القديم:

إن الحديث عن مفهوم الآخر من خلال دراستنا يبدو أكثر تحديداً ذلك أننا نعني به ذلك الأجنبي المضاد للذات العربية ، وقد فرضت علينا بعض الظروف _ سياسية، اجتماعية، جغرافية، حضارية، أن تكون بينهما علاقات تماس واتصال وتجاور.

1_1 صورة الروم والفرس في الشعر العربي:

«كانت علاقة العرب بهذا الآخر _الروم_ قديمة ترجع إلى ما قبل الإسلام حيث اتصل العرب بالفرس والروم عن طريق الجوار من خلال إمارتي الغساسنة والحيرة وتوطدت هذه الصلات عن طريق التجارة وبرزت صورة الآخر في الشعر الجاهلي بجوانبها المختلفة وكان

1 ميجان الرويلي، ، المرجع السابق، ص21

2 صلاح صلاح، سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان ط 1، 2003،

الأعشى أكثر شعراء العصر الجاهلي استحضارا لصورة الآخر، في حين برزت صورة الروم في العصر الأموي والعباسي نتيجة الصراع بين العرب والروم¹، والذي أسفر عنه تحولات سلبية في العلاقة بينهما مما أفضى بدوره إلى التحول في الشعر، فجاء شعرهم صارخا بالمعارك مصورا للهزائم التي لحقت بالروم وقد برزت «الروم بشكل مكثف في شعر ثلاثة من كبار شعراء العصر العباسي هم : أبو تمام، والمتنبي، وأبو فراس الحمداني»².

وباعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه فينبغي أن تجمع مع غيره من الشعوب علاقات تفاهم واحترام والتي تقوم أساسا على الحوار البناء والمودة والاحترام إلا أنه يمكن أن لا يكون ذلك إذا ما حاول الطرف الآخر أن يفرض سلطته أو أن يفرض نظرتة التحتية لأننا الأول هنا يحدث التنافر والتضاد وبدلا من علاقات المودة تكون العداوة وبذلك يمكننا القول أن الصورة التي يمكن أن ترسم عن الآخر تحمل شقين اثنين :

الأول : صورة ايجابية: وتكون نتاج التأثر بالآخر وهو حال العرب بعد مجيء الإسلام حين انفتحوا على الحضارات الأخرى فكانوا ينظرون اليها نظرة تقدير وتعاطف في آن .

الثاني : صورة سلبية : وظهرت مع الشعراء العرب في الجاهلية فكانوا يمقتون الفرس بوصفهم وثنيين ولما شكلوه من خطر وتهديد على حياتهم .

ونجد الأعشى على سبيل المثال لا الحصر يصور لنا حال الصراع القائم بين العرب وغير العرب من الفرس في العصر الجاهلي ، فجاء شعره تصويرا بل وانعكاسا لما جرى من وقائع ، يقول الأعشى محتفلا بنصر قومه على ملك الروم " كسرى"

منا كتائبُ تزجي الموت فانصرفوا

وجند كسرى غداة الجنو صبّحهم

من الأعاجم في آذانها النُطْفُ

ججاجح وبنوا ملك عطارفة

¹ فوزي عيسى، المرجع السابق ، ص5

² فوزي عيسى ،المرجع نفسه، ص6

ملنا ببيض¹ فظلّ الهام يُخْتَطَفُ

إذا أمالوا إلى النُشاب أيديهم

حتى تولوا وكاد اليوم يَنْتَصِفُ

وخيل بكر فما تنفك تطحنهم

في يوم ذي قارَ ما أخطاهم الشَّرَفُ²

لو أن كلَّ مَعَدٍّ كان شاركنا

1_2 صورة الأسباب في الشعر العربي:

«احتدم الصراع في الأندلس والممالك النصرانية التي كانت تمتد على الحدود الشمالية أهمها مملكة جليقية، ونافار، وقشتالة، وبرشلونة ... فقد أطلق العرب مسميات عديدة على سكان الممالك النصرانية منها : الروم والافرنجة والنصارى والمجوس والنورمان ، وتبرز صورة الروم بوصفهم أعداء يمثلون خطرا على الإسلام فيعنى الشعر الأندلسي بتصوير الوقائع التاريخية والجغرافية والسفارات المتبادلة ويحتفي برسم مشاهد لملوك الروم وقوادهم حين ينهزمون أو يقعون في الأسر»³. ويعد" ابن دراج القسطلي من بين أبرز شعراء العرب الذين احتفوا في شعرهم بوصف الآخر وقد جاءت قصائده في هذا السياق«تضاهي سيفيات المتنبي التي تغنى فيها بالبطولة الإسلامية التي أبدأها سيف الدولة الحمداني في مواجهة الزحف الرومي على الثغور الإسلامية هناك»⁴.

1_3 صورة اليهود:

«تسلل اليهود إلى المجتمع الأندلسي قبل الفتح العربي وباتوا يؤلفون عنصرا من عناصر سكانه ، وقد استقبل هذا العنصر الفاتحين العرب كمحررين لأن النورمان كانوا يسومون

¹ ببيض : هي السيوف التي تلمع لحدتها في الحرب

² ميمون بن قيس بن جندل، الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ، ش وتح محمد حسين، مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية ، ط1، ص 113، 114

³ فوزي عيسى ، المرجع السابق ، ص 146_147

⁴ محمود علي مكي، ديوان ابن دراج القسطلي ، المقدمة ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط2 ، 1964 ص 22 عن المرجع نفسه، ص 149

اليهود أنواع العذاب»¹، «وفي القرن العاشر الميلادي كانت قرطبة أكبر مدينة اسبانية تضم يهودا ، وكانوا يمتنون تجارة العبيد وبيع أدوات الزينة ، وقد تقلب بعضهم في مناصب الدولة ولا سيما في عهد الناصر»²، وقد «أشاد "جوستاف لوبون" بما لقيه اليهود من معاملة حسنة في الأندلس فذكر أن اسبانيا العربية كانت هي البلد الأوروبي الوحيد الذي كان اليهود يتمتعون فيه بحماية الدولة ورعايتها»³، «وقد علا شأن اليهود في بعض الفترات ، وتقلد مناصب الوزارة وقويت شوكتهم في غرناطة في عصر ملوك الطوائف ، فاستوزرهم بنو زييري وسيطروا على مقاليد الأمور ، فنشأ تيار مناهض لنفوذ اليهود ، وارتفعت أصوات الشعراء تعبر عن سخط الأندلسيين وغضبهم لتحكم اليهود في شؤون المسلمين واستئثارهم بخبراتهم ومن أبرز من عبر عن ذلك السخط نجد " أبو الحسين يوسف بن الجد»⁴

ثانيا: حضور صورة الآخر الأجنبي في أدب الآخر الفرنسي :

غالبا ما تترسخ في عقلية شعب معلومات عن شعب آخر أو أمة أخرى قد تحمل في طياتها الكثير من المغالطات إما بالسلب أو بالإيجاب ، ووتظهر هذه المعلومات في الأدب الذي يعتبر سجلا صادقا لشعور شعب معين وصورة ثابتة للعلاقات التي تربطه بغيره ويمكن لهذه الصورة أن تتجلى في أدب الرحلة أو في أدب الشعوب المحتلة أو ما يعرف بأدب ما بعد الاستعمار_ ديكولونيالي_ حيثي تشرع الشعوب التي وطأت تحت الاحتلال ونالت حريتها بكتابة آداب خاصة بها تحاول من خلالها تجسيد صورة الآخر_ المحتل_ بأشع صورة في حين تقوم الآداب الكولونيالية بعمل مضاد حين تنطلق من رد معاكس باعتبارها القوة المهيمنة وتمثل الأنا في حين تظهر الشعوب المحتلة بصورة الآخر ، وفيمايلي سنحاول التعرض لصور البلاد الأجنبية كما جاءت في الأدب الفرنسي باعتبار "الاستعمار الفرنسي"

¹ فوزي عيسى، المرجع نفسه، ص 235

² جودت الركابي ، دراسات في الأدب الأندلسي ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف للنشر، ط6، 1980 ص41

³ ليفي بروفسيونال، حضارة العرب، تح ذوقان قرقوط، بيروت_ لبنان ، ط1، دت، ص296

⁴ فوزي عيسى، المرجع السابق، ص235

الأخر" هو محور الدراسة واخترنا تحديدا صورة العرب والغرب في نظرة الأدب الفرنسي لنرصد بذلك العوامل التي ساعدت على تشكل الآخر فيما سيأتي.

1_1 صورة انجلترا في الأدب الفرنسي: نتيجة لهجرة العديد من الأدباء انجلترا مع مطلع القرن الثامن عشر ووجدوا فيها المكان الأنسب لإقامتهم وراحوا يؤقلمون في في بلدهم شكسبير ، فظهرت نماذج بشرية انجليزية ، ويعتقد المقارن pier reboul أنه «قد ارتسم في مخيلة الفرنسيين ما بين عام 1815_1830 نموذج بشري عن الشعب الانجليزي قد شاع في الأدب الفرنسي ويتألف هذا النموذج من خبث ودهاء يمتزجان بالواقعية ومن حب للحريات العامة ومن روح امبريالية متغترسة وسوف تصبح هذه الصفات من مقومات العنصر البريطاني ودعائمه وسوف تتجلى في معظم إنتاج الأدب الفرنسي»¹.

2_1 صورة ألمانيا في الأدب الفرنسي:

لم تتعرف فرنسا على أدب ألمانيا إلا من خلال مؤلف " مدام ديستال " ، ولم تحظى ألمانيا بتلك الصورة المرموقة في الأدب الفرنسي كما لم تكشف الأبحاث عن صورتها لحد الآن والسبب هو ذلك التضارب بين الصورتين في مخيلة الشاعر : الصورة الأولى التي نقلها مؤلف " مدام دي ستال " إلى الفرنسيين وهي «صورة باهتة عن ألمانيا وعن روحها الرومانتيكية ولما سمعت ألمانيا في توحيد أجزائها وفي التوسع والامتداد تفتحت بعض الأعين غير أن معظم كتاب فرنسا كانوا لا يميزون بين ألمانيا المشجعة للعلم والأدب والتي تتبلور صورتها في Wagner وبين جرمانيا عسكرية واستبدادية تختلف تماما عن الأولى وتتبلور صورتها في Bismarck ومازالت هاتين الصورتين حتى إلى مابعد انكسار فرنسا»².

3_1 صورة ايطاليا وبعض البلاد الأخر في الأدب الفرنسي:

¹ ريمون طحّان، الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب لبنان ،بيروت، ط1 ، 1972، ص62

² المرجع نفسه، ص63

لم تحظ إيطاليا بالمنزلة المرموقة التي حظيت بها غيرها من البلاد الأجنبية الأخرى في حقل الأدب الفرنسي ولم تكشف الأبحاث حتى الآن عن صورتها فيه، وقد «التفت بعض المقارنين إلى دراسة صورة اسبانيا في الأدب الفرنسي وصورة الإمبراطورية العثمانية ، والصين وروسيا فتوالي الأحداث وتتابعها غيرا الصور الأساسية التي كانت قد انعكست في الأدب الفرنسي»¹.

1_4 صورة اليهود في أدب الآخر الأوروبي :

جاءت صورة اليهودي تجسد شخصية التائه الباحث عن أرض الميعاد ، وقد كانت كتمهيد يطرح مصير اليهودي السياسي تقفز باليهودي من شخصية ترمز للعقاب إلى شخصية مغامرة سياسية يكون من حقها مناقشة حتى الإله نفسه وتبين خطأ العقاب إلى نقاوة العرق والتمثيل .

ثالثا: حضور صورة الآخر الإسلامي في المخيال الأوروبي:

«إن المتأمل في تاريخ الفكر الأوروبي منذ عصر التنوير ومرورا بالفترة الإستعمارية يدرك مدى ترابط نشأة الهوية الأوروبية بالحدث من حيث استخدام الأولى للثانية لغاية بناء هوية لأفضل فيها للآخر الغريب المساهم في تشكيلها ، وحتى يتم اقضاء هذا الآخر ذي الماضي الفاعل والحاضر السلبي كان لا بد من تجريده من صفة الفعالية الحضارية وحصره في دور الحالة الباتولوجية التي تستدعي تشخيصا علميا لإبراز أعراض مرض التخلف بغية إيجاد علاج " علموي " حدثي على النمط التنويري»².

¹ المرجع نفسه، ص ص 63_64

² نصر الدين بن غنيسة، المرجع نفسه، ص36

وقد قضت الثقافة الغربية ربحاً من الزمن باحثة «عن سلطة معرفية تمكنها من تأسيس علاقتها بالآخر بواسطة العلم الدقيق الأمر الذي أدى إلى التماهي بين الآخر والصورة التي يمثلها وعي الأنا الغربية لهذا الآخر»¹.

إن نحن حددنا هذا الآخر_الإسلامي_جغرافياً فبحكم انتمائنا إليه ، وتاريخياً بالإرث الأندلسي غرباً باعتباره نموذجاً إنسانياً راقياً لتفاعل حضارتين والإرث المغولي شرقاً بعده ظاهرة حضارية تبين شغف الغالب باتباع المغلوب ولعل الاطلاع على بعض كتابات الجابري تجعله مكيماً من رصد حضور وتجليات الأنا العربي المسلم والآخر الغربي المسيحي الأوروبي في أكثر من ساحة ، ويرى الجابري : «أن الآخر الذي يتحدد به الأنا في المغرب العربي هو الاستعمار الفرنسي وهو استعمار استيطاني ، أما الآخر بالنسبة للمشرق العربي فكان هو جنوح الخلافة العثمانية نحو التتريك»². فالعلاقة بين الآخر الأوروبي والأنا الإسلامي في عصر التنوير إنما قامت على الجهل بالآخر ذلك أن الصورة الخيالية التي رسمتها أقلام النخبة الأوروبية عن الإسلام والمسلمين كانت تعني عدم معرفة أوروبا بالمسلمين ، وبإتباع هذين الفضائين المتمثلين في الآخر الإسلامي والأنا الأوروبي نجد أنفسنا «أمام مواقف تنوس بين استهجان وطمس لتنتهي في الأخير إلى بعض من الاعتراف»³ وأول موقف سنتطرق إليه هو موقف "الاستهجان" الذي رأى في الإسلام عائقاً حال دون تحقق أوروبا الناشئة ذاتها.

1_ موقف الاستهجان:

ويمكن حصر هذا الموقف في ثلاث مواقف حاول أصحابها من خلالها أن يؤسسوا لعلموية المعارف الإنسانية وهم " فرناند بروديل، وهنري بيرين، والأنتروبولوجي ليفي ستروس".

¹ المرجع السابق ، ص36

² محمد عابد الجابري، سلسلة مواقف، ع 72، دار النشر المغربية ، ط1، يوليو 2005، ص19

³ نصر الدين بن غنيسة ، المرجع نفسه ص44

1_1 موقف فردينان بروديل:

«في كتابه " نحو الحضارات " وهو الكتاب البيداغوجي بالدرجة الأولى يتعرض "بروديل" إلى الحضارة الإسلامية ومدى مساهمتها في النهضة الأوروبية فيعمد إلى شيء من الهزل¹ و على بعض الإسهامات العلمية العربية...ويسهب في التأريخ لهذه الحضارة من منطلق أنها غريبة وأجنبية وإذا ما تعرض إلى التفاعل الحضاري فباقتضاب²، «وفي موضع آخر من الكتاب لا يخفي بروديل مركزيته حين يصف اكتساح الإسلام لأوروبا بين القرنين (7م_11م) بالكارثة التي عطلت إلى حين عملية تأقلم المسيحية مع العالم الروماني وتثبيت بنيتها الهرمية³ « من خلال ما سبق يتبين لنا أن التهديد القادم من الغرب سببه عقلانية الفلاسفة التي نحت الدين والأخلاق جانبا.

2_1 كلود ليفي ستراوس:

يدور موقف ليفي ستراوس حول فكرة بسيطة مفادها أن «معرفة الآخر تقتضي تجاهل الأنا مما يدفع به إلى أن يرفض رفضا قاطعا كل حكم على ثقافة الآخر ينطلق من المفاضلة الاستعلائية وهو السبيل الوحيد الذي ارتآه ستروس للقضاء نهائيا على النظرة المركزية الإثنية⁴.

إن هذه النظرة المثالية في تناول ثقافة الآخر والتي جعلها ستروس كتابه المقدي لم تكن لتخلو من ثغرات حيث أن عجز هذا الأخير عن الفكك من قبضة الانتماء الى هوية قد «جعله يدين الآخر المسلم" العنيف " بتهمة الحؤول دون تبلور هوية أوروبية محاورة في لقائها مع البوذية السمحة ، معتبرا أن الإسلام لعب دورا مزعجا حين " قطع إلى نصفين

¹ يعمد بروديل في تعرضه للحضارة الإسلامية بشيء من الهزل حين يتبوأ مقعد الأستاذ ويوزع الدرجات والملاحظات على بعض الإسهامات العلمية العربية كالبصريات والكيمياء بين ممتاز وممتاز جدا وهذه النظرة تعزز التوجه نحو تقخيم

الأنا الأوروبي وتقزيم دور التفاعل الثقافي بين الحضارات في تحقيق التواصل الحضاري

² نصر الدين بن غنيسة، المرجع السابق، ص ص 44_45 ، بتصرف

³ نصر الدين بن غنيسة ،المرجع السابق، ص ص 46_47

⁴ المرجع نفسه، ص48

عالمًا يستعد للاتحاد وتدخل بين الهلينية والشرق، بين المسيحية والبوذية ، لقد قام بعملية أسلمة للغرب ومنع المسيحية من أن تتعمق وأن تكون ذاتها أكثر فأكثر بعملية تلاقح مع البوذية»¹

1_3 أما هنري بيران:

فيؤسس من خلال كتابه "محمد وشارلمان" نظرية خلاصتها: «أن الإسلام فكك الوحدة المتوسطية التي أسستها الهجمات الجرمانية على الضفة الجنوبية من المتوسط ، إنه دين آخر وثقافة أخرى التي اكتسحت كل ميادين الحياة ، يتحول البحر إلى بحيرة إسلامية فإنه توقف على أن يكون سبيلا إلى تبادل الأفكار»².

إنن ومما سبق يمكن القول أنا موقف الاستهجان هذا يوحي في أسوأ حالاته إلى ظاهرة التجاذبات الحضارية فهو يؤكد على أن نشأة الأنا الأوروبية لم تتبلور إلا بفعل علاقة جدلية بالحضارة الإسلامية وإن كانت في نظرة هؤلاء سلبية ومن هذا المنطلق «فمهما كان تقييم هذه الحضارة سواء عدت خصما فلسفيا أ عسكريا أو منافسا دينيا أو شرا تاريخيا لا بد منه إلا أن ولادة أوروبا قد تمت وما كان لها أن تتم إلا عبر الحضارة الإسلامية»³.

2 موقف الطمس: إن من بين من حاول طمس الدور التاريخي للإسلام الأندلسي في نشأة النهضة الأوروبية الحديثة : "جيرار لوكيير، وماكس فيبير" .

1_2 جيرار لوكيير:

¹ Stauss, claude levy, tristes tropicaues.pocket.paris,2002,p490 عن نصر الدين بن غنيسة المرجع نفسه ،ص49

² De libera,alain,"fractctures en mediterranee",in maniere de voir

Satrus, claude levy ,,n64,juillet_aout,2003,p10_14 عن المرجع نفسه،ص57

³ جعيط هشام، أوروبا والإسلام ،صدام الثقافة والحدائثة ،دار الطليعة ،بيروت ،دط ،2001،ص78

يؤكد في كتابه "العولمة الثقافية" «أن مرور أوروبا من ثقافة تقليدية إلى ثقافة حديثة هو محصلة لتحولات داخلية خاصة بالثقافة والمجتمع الأوروبيين»¹، فتحديث أوروبا كان عملية تحصيل لتفاعل مجموعة من ، هذا النفي لتفاعل الثقافات يوحي إلى أن الحداثة الأوروبية قد ولدت من فراغ فهي لا تدين لثقافة الآخر بأي شيء وكل إنجازاتها إنما هي نتاج عبقرية حضارتها، «وهذه القطيعة المفتعلة دفعت الكاتب إلى تعزيز الحدود الوهمية من خلال تكريس النظرة الثنائية _ داخل، خارج _ (عبر تعريفه للتغريب بأنه عملية تحديث تتلقاها الحضارات غير الغربية على أنها مجموعة أنماط حياة غريبة وأجنبية يجب أن نستنبطها»².

2_2 ماكس فيبير:

هذه النظرة ليست جديدة فقد سبق إليها "فيبير" عندما أراد الإجابة عن سؤال يتعلق بعالمية قيم الحضارة الغربية فعمد إلى البحث عن خصوصية هذه الحضارة بالنسبة لبقية الحضارات الأخرى في مرحلة ما بعد التنوير فحصرها في تلك الحركية الثقافية الداخلية التي احتضنتها أوروبا وأفرزت العقلانية كأبرز ظاهرة حضارية عالمية فراح يعلن «أنه خارج أوروبا تظل العلوم والتقنيات عاجزة عن إقحام عقلانية الفكر والثقافة ، فهي في مراحلها الأولية ، خارج أوروبا لم نعثر على أثر للمنهج التجريب والطب العقلاني والكيمياء العقلانية ... حتى الفن والإنتاج الجمالي لم يستطع مطلقاً أن يصل إلى المستوى الذي حققته أوروبا لا وجود لموسيقى عقلانية، ولا وجود لفن العمارة القوطية ولا لفنون جميلة تعتمد على قوانين الرسم المنظوري ، ولا وجود لأدب مطبوع»³. من خلال ما سبق يتبين أمامنا محاولة إنجاز الحضارة الأوروبية الحديثة في مقابل تقرير يثبت عجز شبه كلي لبقية الحضارات والثقافات الأخرى وحسب يوسف بن غنيسة «أن هذا النهوض إنما هو محاولة نهوض توحى بمفهوم

¹ Leclerc, Gerard, la mondialisation culturelle, pufmparism 2000, p327 عن نصر الدين بن غنيسة ،

المرجع السابق ، 58

² Leclerc, Gerard ، لمرجع نفسه، ص327، عن نصر الدين بن غنيسة، المرجع نفسه، ص59

³ Leclerc, Gerard, la mondialisation, op .cit p p 328_329، عن نصر الدين بن غنيسة ، المرجع

السابق، ص59

ساكن للزمن الحضاري يتجلى في ضبط عقارب ساعة الصفر للحضارة الإنسانية ببداية عصر التنوير والثورة الصناعية ، وأن مثل هذا الطرح لم يعد يفني بالمهمة المنوطة به والتي تسعى لإبراز هوية أوروبية ليس فقط كهوية تبرز الهويات الأخرى بل الهوية الأم التي أنارت العالم بنهضتها فمع اقبال العالم على ما يدعى عولمة استشعرت أوروبا الحاجة في أن تتكفل اقتصاديا في مواجهة التكتلات العالمية فعاد هاجس الهوية التي يؤرقها من جديد»¹.

ومما سبق تبين لنا مددة الصورة المغلوطة التي رسمها الآخر على الآخر العربي _ الآخر العربي بمنظور الآخر الغربي حيث جس مخاوف الحقيقية وكاذبة عن الإسلام في إطار العلاقات العربية الأوروبية وفيما يلي سنحاول التوضيح أكثر من خلال صورة الإسلام في اليابان وفرنسا على سبيل التوضيح لا الحصر.

1_1 صورة الإسلام في اليابان: الماضي والحاضر

«الجديد السلبي في في ثقافة الياباني _ كما يرى آيري طامورا_ تجاه الآخر العربي وحدة الرؤيا عند العامة والمتخصصين ، وهذا لا ينسجم مع مواكبة اليابان لركب الحضارة ، فالمفاجئ في المجتمع الياباني هو جهل المتعلمين بالإسلام والعرب وبالشرق الأوسط رغم ازدهار القومية العربية في الخمسينيات وأزمة النفط في السبعينيات وأزمة الخليج الجديدة لم يتعرف المختصون على عمق وثقافة المجتمع العربي وبالتالي لم توظف في إعلامهم لتكون هذه الثقافة عند عامة مجتمعهم ، وإذا ما وجدت آثار رؤيا فهي متأثرة بالحادثة»².

ومنه: فإن صورة الإسلام والعرب بقيت قائمة عند اليابانيين مظلمة فالآخر العربي المسلم عندهم : حربي المزاج ، لا عقلائي ، عديم الرصانة ، وكل هذه النمطية إنما كرسها تصدير قيم الحادثة بفعل قوة الإعلام الأوروبي الذي لا يتوانى لحظة في رسم صور نمطية همجية عن الآخر العربي المسلم .

¹ المرجع نفسه، ص60

² الطاهر لبيب ،صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية،د ط، 1999،ص ص

237، 238 بتصرف

1_2 صورة الآخر_العربي_ في فرنسا المعاصرة:

«يعتبر "روبار شارفار" العربي هو الآخر الحق كعرضه لظاهرة رفض جماعي خاصة بعد حرب الخليج فالرفض ليس محصورا بحزب سياسي دون آخر ، مما يقودنا للتفتيش عن بعد النظرة السلبية لدى الآخر في فرنسا»¹.

وهذه السلبية في رفض الآخر تعود إلى القرون الوسطى حين حكمت الكنيسة على يهود أوروبا بالعزل بسبب مرض الطاعون الذي تفشى في أوروبا فحملتهم سبب ذلك اضافة إلى أن معاداة الشيوعية ومقارنتها بالآخر_الفاشية_ في تاريخنا المعاصر قد كونتا في ذهنية الذات الفرنسية فكرة رافضة بالأصل لكل كلمة آخر وحكمت عليه مسبقا بأنه غريب ، وبالتالي فإنها تتعامل معه أنه لا حق له في الديمقراطية في حقوق الإنسان ، عن سبب تكون نظرة رفض الآخر في الذات الفرنسية أما بخصوص الآخر العربي فقد كان هو البديل لحماية الذات _ فرنسا_ ذلك أنه وخلال فترة السبعينيات ومع غياب شمس الفكر الالحادي الشيوعي عن الساحة الدولية كنقطة قوة تجاذبية لمنطق الصراع تبدى للذات_الفرنسية_ إحياء فكرة السامية فكان العربي هو البديل لذلك ويرى" الطاهر لبيبي" أن «الآخر الغربي وهو هنا بمثابة الذات لم يصل مرحلة الإقناع كونه لا يحمل بعدا ايديوبوجيا استفزازيا سوى بلونه الأسمر الدال عليه إذ أنه لا يحمل هوية عنصرية لا لون لها تستحق التصفية العرقية كالشيوعي»².

والمتأمل في شخصية العربي داخل المجتمع الفرنسي يجدها خليطا من اللامبالاة والتبذير الذهني غير القادر على تصريف الأعمال الاقتصادية ، إضافة لثقل وجوده ازاء هجرته المتتالية لمجتمع الذات ، هذه الصورة السلبية تجاه العربي العدو صاغت أعلام السياسة وصفحات الجرائد بمعنى هي مفتعلة للحفاظ بل النهوض بقيم الذات الغربية.

¹ المرجع نفسه، ص238

² الطاهر لبيبي، المرجع السابق، ص239

فقتامة الصورة العربية سببها الآتي: « كل مسلكية لا عقلانية ولا حضارية تُبَرِّز، أما المواقف المفصلية حتى من قبل كبار السياسة العرب تُبْتَرِّ ، كما ينعت الايمان الديني في الاسلام بحدة التعصب الاسلامي فأصبح بذلك العربي كبش فداء للواقع المخلخل للذات الفرنسية »¹.

إن: من كل ما سبق طرحه حول صورة العرب في المنظور الأوروبي يمكننا من القول أن الغرب هو المسؤول عن حالة الاضطهاد الموسومة بالأحكام المسبقة على الآخرين قبل الاحتكاك بهم بل تماشيا تماشيا مع حس قومي جماعي خوفا من الآخر ، هذا الآخر الذي ساهمت الغرب في تشكيله من أجل إبراز أنويته فوصفته بالدونية في محاولة منها لإعطاء نظرة استعلائية فوقية تبرز طورها الحضاري والثقافي للعالم.

¹ المرجع نفسه ،ص239

الفصل الثاني

1_ مفدي زكرياء: دراسة حالة .

2_ صورة الاستعمار عبر :

أ) تجليات المكان:

1_ الإمكنة المفتوحة

2_ الأمكنة المغلقة

ب) إلباظة الجزائر :

1_ صورة فرنسا الطاغية

2_ فرنسا المنكسرة

3_ فرنسا المتمدنة

4_ الحركي

دراسة حالة : مفدي زكرياء :

شاعر ومناضل جزائري، كرس شعره لقضايا وطنه فعرف بـ"شاعر الثورة الجزائرية"، خلد تاريخ بلده في "اليازة الجزائر" التي بلغت ألف بيت من الشعر، أصدر عددا من الدواوين، وكتب كلمات النشيد الجزائر الوطني.

مولده ونشأته:

ولد زكري بن سليمان _ مفدي زكرياء يوم 12 يونيو / جزيان 1908 بأحد القصور السبعة لوادي ميزاب بني يزقن ، في ولاية غرداية ، جنوب الجزائر ، عرف بلقب "مفدي " الذي أطلقه عليه سليمان بو جناح .

الدراسة والتكوين :

بدأ تعليمه الأول في الكتاتيب بمسقط رأسه ، فدرس القرآن ومبادئ اللغة العربية ، ثم رحل إلى تونس وفيها واصل تعليمه باللغتين العربية والفرنسية بمدرسة العطارين والمدرسة الخلدونية ثم التحق بالزيتونة فحصل على شهادتها .

التجربة السياسية :

انضم إلى صفوف العمل السياسي والوطني في أوائل ثلاثينات القرن العشرين، فواكب الحركة الوطنية في المغرب العربي بشعره وبنضاله، فانخرط في صفوف الشبيبة الدستورية فترة دراسته بتونس، وشارك في مؤتمرات طلبة شمال أفريقيا المناهضة لسياسة الإدماج.

نشط بشكل فاعل في الحركة الوطنية الجزائرية، فكان عضوا بحزب نجم شمال أفريقيا، وعضوا مؤسسا لحزب الشعب الجزائري، ثم أمينا عاما له، وعضوا في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

تعرض للاعتقال والسجن على يد سلطة الاحتلال الفرنسي أكثر من مرة بسبب نشاطه السياسي، حيث اعتقل في أغسطس/آب 1937 رفقة مصالي الحاج ، ثم في مايو/أيار 1945 لمدة ثلاث سنوات، ثم في فبراير/شباط 1946 لمدة ستة أشهر.

وفي سنة 1955 أعلن انضمامه لثورة التحرير، ولم تمض سنة حتى اعتقل وسجن بسجن
سركاجي في العاصمة الجزائر لمدة ثلاث سنوات، بتهمة المساس بأمن الدولة من خلال
تأليفه للشيد الوطني "قسماً"، فأُمِّمَتْ أملاكه وضاع الكثير من أعماله المخطوطة.

تمكن من الفرار من السجن في 1 فبراير/شباط 1959 وتوجّه إلى المغرب ثم إلى تونس
للعلاج من آثار المعاناة والتعذيب في السجن، واغتنم وجوده بتونس فساهم في تأسيس جريدة
المجاهد.

وبعد الاستقلال عاش حياته متنقلاً بين بلدان المغرب العربي، وكان أكثر وقته بالمملكة
المغربية، وخاصة خلال سنوات عمره الأخيرة.
التجربة الأدبية:

في بدايات مساره الشعري حضر المجالس الأدبية للأديب التونسي الكبير العربي
الكبادي، كما جمعته صداقة حميمة في تلك الفترة بالشاعرين أبو القاسم الشابي، ورمضان
حمود، وأبي اليقظان إبراهيم عميد الصحافة العربية بالجزائر.

تأثر مفدي بواقع الجزائر المثخن بجراحات الاستعمار، المشحون بروح التحرر، فكان
شعره سفراً من أسفار نضالات الشعب الجزائري للتخلص من الاستعمار الفرنسي ونيل
الاستقلال، وامتزج الأدبي في شعره بالسياسي، وعرف بشاعر الثورة الجزائرية.

كان سفير القضية الجزائرية، فساهم في التعريف بها في الصحافة المغربية والتونسية،
وحمل هموم وطنه وثورته حيث حل، وكانت قصائده وأناشيده مرآة عاكسة لثورة الجزائر
وتوق أهلها للحرية والانعتاق .

كتب القصائد والملاحم والأناشيد فكانت كلها تعبيراً عن آلام وآمال الجزائريين، وتغنى بها
الإنسان الجزائري، وتحولت إلى أيقونة ورمز للتحرر، فكان يرددّها الطفل في طريقه للفصل
الدراسي، والشهيد على منصة الإعدام.

وتعكس دواوين: "ظلال الزيتون" و"اللهب المقدس"، و"من وحي الأطلس" الالتزام الشعري
عنده، إذ تسيطر على مضامينها القصيدة الوطنية، وتعتبر "إلياذة الجزائر" التي تتألف من
ألف بيت وبيت ملحمة تخلد التاريخ الجزائري وتتغنى بأمجاده.

وقد ترك بصمته على الحياة الثقافية والسياسية الجزائرية من خلال أناشيده الوطنية المختلفة، فقد ألف النشيد الوطني الجزائري "قَسَمًا" وهو في سجن "بربروس" في أبريل/نيسان 1955، ونشيد الشهداء الذي كان المحكومون بالإعدام يرددونه قبل الصعود للمقصلة، وأناشيد وطنية أخرى كثيرة.

شارك بشكل فعال في مؤتمرات الفكر الإسلامي التي أسسها صديقه الحميم ووزير الشؤون الدينية الجزائري الدكتور مولود قاسم نايت بلقاسم الذي كان صاحب فكرة نظم ديوان إلياذة الجزائر التي أُلقيت بمناسبة ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر العاصمة سنة 1972. المؤلفات والدواوين :

أصدر دواوين شعر، من بينها: "تحت ظلال الزيتون" و"اللهب المقدس"، و"إلياذة الجزائر"، و"من وحي الأطلس"، كما ترك العديد من الدواوين التي لم تنشر.

وتعبيرا عن تعلقه بالفكر والثقافة أوصى بتحويل بيته في بني يزقن إلى مركز إشعاع علمي، فأصبح مكتبة للمطالعة، تضم أهم مخطوطاته والعديد من المصادر العلمية القديمة والحديثة تحت إشراف عائلته. الجوائز والأوسمة :

حصل على العديد من الجوائز والأوسمة في وطنه وفي المغرب العربي، فقد حصل في الجزائر على وسام المقاوم، ووسام الأثير في نظام الاستحقاق الوطني، وشهادة تقدير على أعماله ومؤلفاته، كما أطلقت الدولة اسمه على قصر الثقافة بالجزائر العاصمة.

وفي المغرب حصل على وسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى، فيما حصل بتونس على وسام الاستقلال ووسام الاستحقاق الثقافي. الوفاة :

توفي زكري بن سليمان (مفدي زكريا) يوم 17 أغسطس/آب 1977 بتونس ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن بمسقط رأسه في بني يزقن بغرداية.¹

¹ الجزيرة : موقع انترنت

أولاً : صورة الآخر _ الفرنسي _ عبر تجليات المكان:

في القديم كان الحديث عن المكان في الشعر العربي «يبين لنا ما مدى الضغط العاطفي والوجداني الذي يضغط به المكان على مخيلة الشعراء ونتج عن هذا الضغط أن اكتسب المكان دلالة رمزية بعد شحنه بمعاني ذاتية تعبر عن أحاسيس الحب والوفاء والولاء للمكان الأول بوصفه جزء من هوية القبيلة أو الأمة»¹، وقد استعادت القصيدة الحديثة عموماً دلالة المكان الرمزية بعدما توالفت في بقية الحقب التاريخية خصوصاً العباسية أين سخر الشعراء من المقدمات الطليّة التي تنوه على فاعلية المكان والتي يكثر فيها الأرام، في حين أن القصيدة الحديثة لم تخاطب الأماكن بوصفها طلالاً دارساً إنما خاطبوا المكان المهجور من الناس.

يعتبر المكان عنصراً مهماً في بناء الصورة في العمل الأدبي عموماً والشعري خصوصاً، وتتعدد الأمكنة وتتوعد الصور والشخوص وقد أكد العديد من النقاد على أهمية المكان في العمل الأدبي على حد سواء وفيما يلي نحاول التعرض لمفهوم المكان من الناحية اللغوية والاصطلاحية .

مفهوم المكان:

أ_ لغوياً:

المكان مشتق من الجذر اللغوي "كون" وقد جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "كون" أن المكان هو « الموضع والجمع أمكنة وأماكن ، توهموا الميم أصلاً حتى قالوا :تمكن في المكان ،وقيل الميم في المكان أصل كأنه من التمكن دون الكون ،والمكانة المنزلة يقال: فلان مكين عند فلان بين المكانة والمكانة الموضع»²

¹ د/نجود هاشم الربيعي_السويد عود الند،مجلة ثقافية فصلية ،الناشر:د،عدلي الهواري،ع ف6،خريف 2017

² ابن منظور، المصدر السابق،ص136

أما في المعجم الوسيط فجاء: «مكان جمع أمكنة : جمع أماكن: موضع وهو مفعول من كون: مكان اللقاء، هو من العلم بمكان أي له فيه مقدرة ومنزلة .هذا مكان هذا أي بدل»¹.
ومما سبق يتوضح أمامنا أن المكان هو الموضع والمريض الذي يعيش فيه الإنسان ويتطور .

ب _ اصطلاحيا:

«المكان أو الأمكنة التي تقدم الوقائع والمواقف _مكان المواقف وزمانها ، مكان القصة_» ، ويكمن في تلك العلاقة التي تربط الإنسان بمكانه ، ويعتبر المكان أداة طيعة للكاتب في بعض الأحيان فيخلق بذلك « المعنى داخل النسيج الشعري ، ولا يمكن أن يكون دائما تابعا أو سلبيا بل إنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الإنسان من الآخر »².

أما حميد الحميداني فيرى «أن الفضاء الجغرافي هو مقابل لمفهوم المكان ويدل عن طريقه الحكي ذاته ، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال أو يفترض أنهم يتحركون فيه»، تظهر لنا من خلال هذا القول فاعلية المكان في بنية النسيج الشعري .

أهمية المكان:

يقول غالب هلسا: «إن العمل الأدبي حيث يفنق المكانية فهو يفنق خصوصيته وبالتالي أصالته»³ ، أما ياسين النصر «إن المكان دون سواه يشير إحساسا بالمواطنة وإحساسا آخر بالزمن والمخيلة حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه»⁴ ، فالمكان نقطة حساسة

¹ أنطوان نعمة وآخرون، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2003ص979

² حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقاد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، الدار

البيضاء، 1991، ص70

³ حميد الحميداني، المرجع السابق، ص62

⁴ غيداء أحمد سعدون شلاش ، المكان والمصطلحات المقاربة له (دراسة مفهوماتية)، مجلة أبحاث كلية التربية

الأساسية، مج11، ع2، 2011، ص248

في حياة الشاعر باعتباره أنه قد عاش فيه وقتاً طويلاً أو حتى ألف العيش فيه، أو عاش فيه غيره ممن يستثير غيابهم بفاعلية المكان واستنكاره لذلك يمكن القول: «أن المكان الذي يجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً مالياً، إذا أبعاد هندسية وحسب فهو مكان عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكتف الوجوه في حدود تتسم بالحماية»¹، فالمكان يثير فينا شعوراً بالانتماء وآخر بالانفلات بما يوقظه من ذكريات حاضرة وأخرى اندثرت في عالم لا نستطيع الانتماء إليه إلا أننا نستذكره بحضور المكان أو تعمل ملكات الخيال على تشكيله فيبعث الحياة في رفات من الصعب احيائه «وتختلف الأمكنة باختلاف طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها، تخضع في تشكيلاتها أيضاً إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع والضيق، أو الانفتاح والانغلاق»²

وبهذا يكون للمكان دور هام في عملية البناء الشعري إذ يعد الأساس في انطلاق الأحداث التي يصوغها الشاعر في قالبه، حيث اتخذ تقسيمات عديدة وفقاً لدلالة هذه الأمكنة ورصيدها الكاشف عن الحالة النفسية والاجتماعية للشاعر، فتغير الأحداث وتطورها يفترض تعددية هذه الأمكنة واتساعها لذلك اتخذت تقسيمات عدة وفقاً لدلالة هذا الأمكنة وما يوافقها من حالة الشاعر النفسية المضطربة وهو الأمر ذاته الذي نجده عند الشاعر "مفدي زكرياء" الذي وظف المكان بقوة عبر تنقلات عديده رسمها مخياله الشعري، وفيما يلي ووفق ما تقتضيه الدراسة سنحاول تسليط الضوء على المكان بتقاطيبته الثنائية _ الانفتاح والانغلاق _ في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء التي تعدد صور المكان فيها .

1_ الأماكن المفتوحة:

¹ غاستون باشلار، جماليات المكان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، تر: غالب هلسا، ط2، بيروت

لبنان، 1984، ص31

² حميد الحميداني، المرجع السابق، ص72

هي « حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة يشكل فضاء رحبا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية للهواء الطلق»¹، وقد حظيت الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في الشعر خاصة حيث «أنها تساعد على الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموعة القيم والدلالات المتصلة بها»²، لذلك يمكن القول أن الأماكن المفتوحة في الالباذة تشكل فضاء رحبا يسع الأحداث والوقائع التي عاشها الشاعر و الجزائري في ظل سيطرة الآخر_المستعمر_ في حياته اليومية وتبرز بشكل واضح من خلال الحركة وبالتالي فالمكان المفتوح هو مكان لا يخضع لحدود معينة بل يمتاز بالاتساع وهو ما سنحاول استبياناه.

فالمكان يتشكل من جميع الدلالات الملازمة له والتي تكون عادة مرتبطة بايديولوجيا العصر إذ لكل عصر دلالاته ورموزه الخاصة والتي تتبعها تحليلات خاصة بذلك العصر وظروفه وثقافته، حيث لكل عصر ثقافته ورؤيته الخاصة للعالم وهو ما يعرف ب"ايديولوجم العصر" فالمكان الذي يتلون بالحالة الفكرية الثقافية أو النفسية للشخصيات المحيطة به وعلاقتها الاجتماعية مكان له دلالة تفوق دوره المؤلف، ويعد الشاعر مفدي زكرياء من بين أهم الشعراء الجزائريين الذين امتازوا بعمق الكلمة واكتناز الأمكنة المتغايرة فنجده بذلك يثير فينا ذلك الاعتزاز القوي بالوطن والوطنية ويعمق مدى وحدة الجهود التي تضافرت في اخراج المحتل_الآخر_ وان تلاءمت هذه الجهود في دلالاتها نفسية واجتماعية وسياسية وثورية، وقد تعددت صور المكان_المفتوح_ في شعر مفدي زكرياء بين الأماكن الطبيعية التي كانت محل أطماع الفرنسي في الاستحواذ عليها فقد تغنى مفدي زكرياء بهذه الأماكن تحديا للآخر الفرنسي أن هذه الأرض أرضه بويانها وأنهارها وبحارها وجبالها وغاباتها، فشكلت بذلك أملا بالحرية للجزائري باعتباره فضاء رحبا يحوي خلفه آلاف الثوار الذين يدافعون عن

¹ اوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس نائرة، دار الأمل للطباعة، الجزائر، ط، دت، ص 51

² حسين بجراوي، بنية الشكل الروائي_الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2009، ص 79

هذا الوطن وشكلت في الوقت ذاته خطرا مهددا للآخر الفرنسي الذي كان يطمح في الاستيلاء عليها بقوة السلاح ومن هذه الأماكن :

1_1 الساحات:

«تعتبر الساحات إحدى الفضاءات المكانية المفتوحة على عالم المدينة يتم فيها التواصل بين الأشخاص لقضاء حوائجهم من تبادل وشراء وبيع إذ تقام بها عادة الاحتفالات أو الأسواق المفتوحة ومختلف التظاهرات الثقافية والاجتماعية مما يجعلها مفتوحة على الآخر»¹، وفضلا عن عموميتها فإنه «يتعين أن تكون معروفة باسم ومنها ما يكون له تاريخ ووقائع معروفة تبلغ أحيانا درجة الأسطورية»² ، يقول الشاعر :

وفي ساحة الشهداء تعالي مآذن تجلوا عيون البصائر³

وقد جاء توظيف الشاعر مفدي زكريا " لساحة الشهداء " وهي أحد أهم الساحات الكبرى في الجزائر والتي كانت مكانا للأحداث الهامة على مر تاريخ الجزائر ، حيث صور لنا الشاعر كيف انطلقت منها الملحمة الشعبية وتعالق أصوات الشعب الجزائري منادية بولائها لما تندد به عيون البصائر والتي كانت لسان حال جمعية العلماء المسلمين برئاسة البشير الابراهيمي ، فكانت بذلك العين التي تبصر بها العقول ، وقد أدت ساحة الشهداء وظيفة حيوية وشكلت فضاء حضريا في حياة الشعب ، إذ تمكنت بوصفها "مكان" من استيعاب مختلف شرائح المجتمع (الشعب الجزائري _ والمستوطنون الفرنسيين _ وجيوش المحتل _ والمجاهدون) مما جعلها على الدوام مكانا يعج بالمارة، إضافة إلى ذلك فقد ذكر جريدة البصائر باسمها داخل هذا البناء الفني في البيت الشعري ، فشكل من خلالها ملحمة شعبية تستنهض الهمم بتعالى

¹ رحمة شعبان، صورة المدينة في رواية انكسار لمحمد مفلح، رسالة ماستر ، قسم اللغة والأدب العربي،

2015، 2014، ص48

² قرطي خليفة ، ، المدينة في الرواية الجزائرية العربية ، رسالة ماجستير ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة الجزائر

1994_1995، ص192،

³ مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص23

الأصوات المؤيدة لمطالب جمعية العلماء المسلمين الممثلة بعيون البصائر والتي أخذت على عاتقها إحياء الشعب الجزائري والنهوض به واصلاح مجتمعه، وزرع القيم والأخلاق الإسلامية الرفيعة والمحافظة على هويته من أجل أن يتبوأ مكانة رائدة بين الأمم وفق هويته الإسلامية والعربية العربية متخذة لذلك شعار : "الاسلام ديننا والعربية لغتنا"، في محاولة لإيصال رسالة للآخر الفرنسي صحة انتماء الجزائري "للعروبة والإسلام" وهذا إن دلّ فإنما يدل على صورة الآخر الحقيقية وهي صورة عكسية لما نهضت به جمعية العلماء المسلمين ضد ما قام به المحتل في الجزائر من محاولات تهميش وتشريد ونشر للانحلال الخلقي والمفاسد بكل أنواعها ، وتجريد الشعب من هويته الإسلامية والتي حاول الآخر الفرنسي بكل الطرق القضاء عليها .

1_2 الأحياء الشعبية:

«يعتبر الحي أحد الفضاءات المفتوحة وهو مجال تمارس فيه الشخصيات حياتها على جميع الأصعدة وفي كل المستويات باعتباره محل التقاء هذه الشخصيات وتقابلها . يشكل لها مجالا للتعارض والتوافق. وتمتاز الأحياء عادة في المدينة _الشعبية خاصة_ بالضيق والانحصار حيث تظهر «صفة الضيق أو المحدودية التي تربط على التوالي بالدروب والأبواب والشوارع، ثم هناك صفة القدم أو العتاقة التي تظهر على الجدران والنوافذ»¹، وقد قدم لنا الشاعر أحد هذه الأحياء الشعبية القديمة قدم الجزائر والعريقة بعراقتها التي تعود لما قبل الاحتلال أي لعصر الدايات في الجزائر والمتمثلة في "حي القصبة" ، يقول:

سجا الليل في القصبة الرابضة فأيقظ اسرارها الغامضة

وبين الدروب وبين الثنايا عفاريت ماتجة راكضة

¹ قرطي خليفة، المرجع السابق، ص46

وملء سراديبها الكافرا
ت، تصاغ قراراتنا الراضة¹

حاول الشاعر من خلال هاته الأبيات ان يصور لنا بشكل مثير دور حي القصة في مساندة المجاهدين ولفظ الآخر لما تحويه من علائق اجتماعية متنوعة ، فهي دؤوبة بالحركة، وفي صورة ضمنية عكسية وصف لنا الشاعر خوف الآخر الفرنسي الذي يختار مثل هذه الأماكن الضيقة خوفا من أي رد فعل من الجزائريين فدججوا مساكنهم وأحياءهم بالحراسة مما يحيل على تعري الآخر الفرنسي من كل مايمت للشجاعة بعنوان، فجاء الوصف في الأبيات الشعرية السالفة الذكر بكونها مكان التقاء مختلف الأشخاص (ثوار، معمرين ، أناس عاديين) ، كما مثلت لنا بؤرة التقاء المتضادين المستوطنين والجزائريين ، فجاء الوصف يعبر عن حياة نابضة ترسم شجاعة أحد وتخط جنب الآخر في آن فصور شوارعها الضيقة وثناياها أين يلتف جنود الاحتلال يطوقون المكان والذين صورهم بصورة العفاريث الراكضة هلعا من قرارات الشعب_ثورته_ التي صيغت داخل ثنايا هذا الحي العريق .

3_1 الصحراء:

تعتبر الصحراء فضاء مكاني رحب وأفق شاسع طالما أغرى الاستعمار بخيراته وبرماله الذهبية التي مثلت عز وأصالة الجزائر لما تبعث من الراحة والانبساط في عين رائها ، إضافة لما تزخر به من خيراتها وواحاتها ورمالها الذهبية وكنوزها الباطنية التي وسعت عيون الاحتلال بإطماعه فيها والرغبة في الاستحواذ على خيراتها، كما تدل على العراء والخلاء في نفسية الأنا_الجزائري_ والآخر_الفرنسي_ فكلاهما يبحث عن ذاته في الصحراء وكلاهما يهيم من واد إلى واد ومن جبل إلى جبل ومن سراب إلى سراب ورغم جمالها إلا أنها تعبر عن وجود حي نابض فمن لم يجد نفسه في الصحراء لن يجدها في أي مكان، فالصحراء

¹ مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص27

هي الحياة وفرنسا تبحث عن هذه الحياة ويعبر الشاعر عن هذه الحياة الحية النابضة التي تشكل هوية حقيقية :

ألا... ما لهذا الحساب ومالي؟ وصحراؤنا نبع الجمال

هنا مهبط الوحي للكائنا ت ، حيال النخيل... وبين الرمال¹

1_4 الأسطح:

باعتبار الأسطح مكان مفتوح فقد شكلت محور تواصل بين الثوار، ومعلوم أن الأسطح تأتي فوقها من أحس بالضياع والشتات ليعيد لملمة شتاته وهو ما كانت عليه حال الآخر _ الاستعمار_ حين أراد لملمة شتاته بخيرات الجزائر فجاءت الأسطح دلالة معبرة عن ذلك ، كما مثلت في الوقت ذاته منبرا لملمة شتات الثوار وتوحيد جموعهم فعبر هذه الأسطح المتواصلة فيما بينها حيكت الثورة في غفلة من الآخر وحنكة من الأول.

1_5 النخيل والغابات: يقول:

وتروي النخيل لعقبة عنا وتحك الرمال مد القساور²

وبا هي بشرشال جنة عدن؟ وزان حدائقها السندسية³

الغابات والنخيل أماكن مفتوحة تمتاز بأفقتها الواسع الذي يرمي إلى الانفتاح النفسي والفكري فضلا عن الاجتماعي ، إلا أن الشاعر رسم لنا وببراعة كبيرة مكانا مفتوحا على التضاد وهذا التضاد ينم عن أسلوب يجذب المتلقي إليه ، إذ أنه ينتقل بنا إلى الماضي السحيق أين زمن الفتوحات الإسلامية واستنكار البطولات والأمجاد ، كما يحاول تذكيرنا بالأطماع الفرنسية في الجزائر لما تحويه من غابات وخيرات اذ صورها بجنة عدن التي

¹ مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص36

² مفدي زكرياء، المصدر نفسه، ص56

³ المصدر نفسه، ص41

يسعى الإنسان جاهداً أن يكون من أهلها كذلك فرنسا حين زانت غابات الجزائر _شرشال_ كانت لها بمثابة جنة عدن فأرادت أن تكون صاحبة الجنة ولتذهب الجزائر إلى الجحيم _الموت_ ليتسنى لها استغلالها والانتفاع بخيراتها، وهو إن دل فإنما يدل على شيئين اثنين لا ثالث لهما باعتقادنا فتذكر الأمجاد الألى والإشادة ببطولات السابقين إنما يكون ناتج عن قصور وعجز _الأنا_ المتحدث فالشاعر بهذا يحاول أن يجد لنفسه وشعبه متنفساً يوحي له بالأمل في النصر يوماً ما وإن كان باستذكار الأمجاد ، والتغني بجمال الطبيعة يدل على الضيق الذي يعانیه الشعب في بلاده فالأرض أرضه ولكن غيره من يتحكم فيها ، وفي نفس الوقت يدل على قوة وجبروت الآخر المهيمن وهو الذي يمتلك كل وسائل الإبادة والقمع فكانت هذه صورة مستفزة لهمم الشعب تذكرهم ببطولات آبائهم، وتذكيرهم بجمال بلادهم لئن يستنهض الهمم لاستردادها، كما حملت صورة ضمنية داخلها مفادها أن قوة الآخر _ الاستعمار_ كبيرة وبالتالي فإن العدو المائل أمامنا لا يستهان بقوته فالطرفين غير متساويين. مما سبق ومن خلال دلالة المكان المفتوح في استنباط صورة الآخر _الإستعمار_ نستنتج أن لهذه الأبيات السابقة جدل نفسي عميق يتجاذب بين ثنائية الداخل والخارج فالدلالة التي يمكن أن نستشفها منهما _ الداخل والخارج_ هي ضعف سلطة الأنا_ الجزائر_، وقوة سلطة الآخر _فرنسا_ .

2_ الأماكن المغلقة:

تلعب الفضاءات المغلقة«دورا حيويًا على مستوى الفهم والتفسير والقراءة النقدية»¹، حيث «تسعى إلى إبراز العلاقة بين مظاهر الحياة الداخلية للأفراد الذين يعيشون تحت ظلالها، والمكان المغلق هو مكان للعيش والسكن يأوي فيه الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين ، لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية ، الصراع الدائم والقائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه ولا

¹ حسن نجمي، شعرية الفضاء _المتخيل والهوية في الرواية العربية_، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000، ص32

يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدأ التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه»¹، ويمثل لنا الفضاء المغلق المستوى السفلي حيث العتمة والفقد والإحاطة والعجز والتلاشي والضياع ، والإنسان بطبعه يرفض الأماكن المغلقة عامة ولا يألفها ، ذلك أنه يفقده توازن حركته فيشعر بالانقطاع والعزلة والغربة وعدم التواصل، ذلك أن موروثه الجغرافي للمكان يحمله على دلالات الامتداد والانفتاح ، فإذا دخل المغلق انصرف لشؤونه الذاتية وانشغل بها وهو ما تواتر في "إلياذة الجزائر" لمفدي زكرياء" حيث مجموعة من الفضاءات المغلقة حرص فيها الشاعر " مفدي زكرياء" على تقديم المكان مغلقا في صور منها السجن، و المسجد.

1_2 السجن:

من الأماكن المغلقة وهو مكان للإقامة الجبرية يساق إليه الإنسان كرها وقسرا وحتى ظلما في كثير من الأحيان ، وله حضور سوداوي في النصوص الشعرية ، حيث يسبب أزمة في لوعي الإنسان عامة و الشاعر خاصة ، ويحدث شرخا في علاقته الروحية بالمكان المفتوح عامة ، فالسجن يشكل حالة من العجز والحجز والحصار والتعذيب النفسي والجسدي مما يولد غربة وتواترا وألما ويفضي بالإنسان لرفض وجوده أو حاله الذي عليه والعجز والإخفاق في التحرر من سطوة المكان المغلق يعود إلى اكتمال الوعي والفلسفة ، فالمكان الضيق يمنح قدرة على التأمل لأنه يفسح المجال للانغلاق على النفس وسبر أغواره وهو يعد مماثل موضوعي لحاله، والجزائري أكثر من تعرض مرارا للاعتقال ظلما من الآخر الفرنسي الذي لا يتوانى في تفتيق التهم والزج به وراء القضبان ليس لشيء سوى أنه عارض سلطته وسياسته ، لذلك طالما ارتبط القمع والسجن بأسباب سياسية لمخالفة السلطات الفرنسية فيتسبب له بعقاب هنا تبرز صورة الآخر الفرنسي السلبية في الظلم يقول مفدي زكرياء:

¹ فهد حسين ، المكان في الرواية البحرينية _دراسة نقدية_، فراديس للنشر والتوزيع ، مملكة البحرين، ط1، 2003،

وكم في سجون فرنسا من بريء من الداء والغدر عاش ذليلاً¹

فإذا كان « فضاء السجن في مهمته الأساسية يهدف لحماية الدولة والمجتمع من كل الذين يخترقون قوانين الدولة ويشكلون خطراً عليها وإن كانت مهمته إصلاح الخارجين عن القانون وتهذيب نفوسهم »، فالذي يحاول " مفدي زكرياء " إيضاحه بالبيت السابق هو: أن السجناء قلما يوجد بينهم مجرم لذلك ليس كل مسجون مجرماً بل معظمهم بريء ، ويدخلون أصحاب سليمة العقل ويخرجون منه إما محملين إلى قبور تحويهم وهذا إن سمحت فرنسا بذلك ، أو فاقدين لقدراتهم النفسية والجسدية جراء التعذيب الذي حاق بهم من الاحتلال الفرنسي ، هنا تحديداً يبرز أمامنا الوجه العدائي لفرنسا الساخطة الظالمة والتي زجت بالآلاف الجزائريين في سجونها الموحشة فتشربوا ويلات عذابها وكله لأنهم رفضوا أن يكونوا فرنسيين وعادوا سياستها المستبدّة .

2_2 المسجد:

وهو توظيف آخر للفضاء المغلق ، حيث يستعين الشاعر مفدي زكرياء بالمسجد كمكان آخر مغلق ، ويبين لنا الشاعر الدور الهام الذي لعبته المساجد إبان فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر فكان المسجد في كل ربوع الوطن مكاناً للإصلاح وتلقي العلوم وتعزيز اللغة العربية التي حاولت فرنسا القضاء عليها جاهدة ، وزرع الأخلاق والقيم التي أطلت مكانها فرنسا المفسد فيقول:

مساجد للهدى في كل فج تتير السبيل لأجيالنا

تفسخ هذا الشباب وماعا وخرّب أخلاقه وتداعى²

ولكن المسجد لم يسلم من محاولات القضاء عليه باعتباره مكان يذكي العقيدة ويقوي الروح ويلقن لغة القرآن فحاولت فرنسا إغلاق المساجد والكتاتيب لأجل القضاء على الهوية

¹ مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص79

² مفدي زكرياء ، المصدر السابق، ص ص 97_98

الجزائرية المتمثلة في دينه ولغته _الإسلام والعروبة_ فتتجلي لنا صورة الاستعمار هنا في التخريب والتجهيل وتتعى من كل قناع .

مما سبق نستنتج أن هذه الفضاءات المكانية بثنائيتها _ المفتوحة (الساحات، الواحات والغابات،الصحراء، الأحياء الشعبية)والمغلقة(السجن، المسجد)_ قد شكلت متنفسا للأنا _الجزائري_ ومحاولة هروب من واقعه الأليم والمرير عبر التذكر، في حين شكلت أطماعا توسعية للآخر المستعمر ، وتظهر صورة الاستعمار من خلال هاته الأبيات الصور بصورة ضمنية تستصاغ وتستشف من خلال الصورة الجمالية التي صور بها أرضه المسلوقة والتي توحى للآخر باستعمارها على حد قول الشاعر " مفدي زكرياء "

فأبظرم قمحنا الذهبي وأوحى لهم باستعمارنا

فقد مثلت فضاء رحبا في دلالتها حين التغني بها كما شكلت أفقا ضيقا يشعنا بالضيق الذي يلحق الأنا _الجزائر_ جراء الخناق الشديد الذي فرضته سلطات الاحتلال عليه لذلك كان تنقله من المكان المفتوح إلى المغلق وكأنه يتذكر واقعه بعد الحلم فيتوقف وإن كان في كثير من الأحيان ضمنيا، فيكفيه همّا أنها سلبت أرضه وحقه ليضيق به الأفق برحابته فكان للمكان دور هام في إبراز صورة المستعمر الوحشية القمعية وخناقها على _الشعب_ فالشاعر اختار مثل تلك الأمكنة المفتوحة ليهرب من واقعه المحصور بالحرب ، وفضاءات أخرى مغلقة يبين فيها وحشية الاستعمار .

ثانيا : صورة الإستعمار عبر إلياذة الجزائر أنموذجا :

تحول هذه الدراسة إلى التطرق إلى بعض صور الإستعمار وليس مجملها لأن الإلياذة غنية بتلك الصور ويصعب إحصاؤها كلها وحصرها لذلك سنحاول التركيز على أهم الصور التي صورت المستعمر وحاولت إبرازه للعالم كله عبر أبياتها الشعرية ، والتي ارتأينا أن نضعها في مجموعة من العناصر منها : صورة جنرالات فرنسا، الحركي أو العميل لفرنسا، المرأة الفرنسية ، الجنود الفرنسيين، المستوطنون الفرنسيون من السكان، علماء فرنسا أو

متقفيها فجاء بصور عديدة ومتنوعة يصف من خلالها وحشية الاستعمار تارة ويصفه في صورة استهزائية منحطة مرة أخرى انهزامه .

1_ فرنسا الطاغية:

صور لنا الأعمال الوحشية التي ارتكبتها المستعمر وجنوده الغلاة في حق الشعب الجزائري ، فهي تاريخ لا يمكن له أن يمحي من سجد الذاكرة يقول :

سكيكدة الثائرين أعيدي علينا فضائح باع حقوق

أغسطس عشرون ... لم ينسها هو يذكرها ألف ألف شهيد

وخمس وخمسون في الذكريات جلال يهدد صدر الوجود

وتحكي لهذا الوري قصة مزرجة عن جهاد الأسود¹

فسكيكدة تشهد مجازر عشرون أوت التي راح ضحيتها الآلاف من الجزائريين الأبطال والشاعر بأسى وحرقة يستعيد تلك الذكرى فيذكرنا بجرائم المحتل الغاشم وما زهقه من أرواح روت بدمائها الطاهرة أرض الوطن، ثم يذكرنا مرة أخرى مسترسلا عن مجازر التي ارتكبتها الاستعمار في حق الجزائريين في الخامس من مايو خمس وأربعين وتسع مئة وألف وكأنه لا يريد لهذا النشاء الجديد القادم ان ينسى ما فعله المستعمر بأرضه وأجداده والتي شملت بعض ولايات الوطن الكبرى _سطيف، قالمة، خراطة_ ويمكن أن نعتبرها سنة الموت لشناعة المجازر ، إلا أنها أيقظت وعي الجزائر للثورة المسلحة يقول :

وكانت مجازرهم بسطيف وقالمة للشعب دقائق جرس²

¹ مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص72

² المصدر نفسه، ص66

ويصور لنا سياسة فرنسا الطاغية والدامية لكل من يحاول معارضة سياستها أو التمرد على سلطتها يقول بعد اضراب الثمانية أيام التي قام به الشعب الجزائري ليثبت لفرنسا وللآخر أن هذه الثورة ليست بثورة جياح كما تدعي فرنسا بل هي ثورة أبطال :

وجئت فرنسا لإضراب شعب فعانت بأرض البلاد فساداً¹

2_ فرنسا المنكسرة :

صور لنا من خلالها انكسار فرنسا أمام إرادة الشعب وإرادة الثوار وكيف حانت لحظة الحساب :

ودان القصاص فرنسا العجوز بما اجتاحت من خداع ومكر²

أ_ صورة جنود الجيش الفرنسي:

رصد لنا الشاعر " مفدي زكرياء " في اليادته "الصورة المخزية لجيش الاحتلال وهزائمه المتواصلة بعد كل تلك الأعمال الوحشية التي قام بها ضد ملايين الجزائريين ناهيك عن المجازر التي ارتكبها ضد هذا الشعب وهو في مستمتع بعنفه ، فعل ما فعل حتى صارت تلك المجازر منقوشة في ذاكرة كل جزائري وكيف له أن ينسى آثامها وهو المتضرر الوحيد، فنجدده يصور لنا ما حاق بهم من عار ويصف حمق وغباء افراد الجيش الفرنسي في ساحة النزال خصوصا في الثورة المجيدة " ثورة الفاتح من نوفمبر " أين عادت الكرامة الجزائرية ، وخساً فيها المستعمر يقول :

فيا أربعين وخمسا، أعيدي فضائح جندي غبي بليد³

¹مفدي زكرياء المصدر السابق ، ص77

² المصدر نفسه، ص69

³ المصدر نفسه ، ص67

فسنة أربع وخمسين وتسع مئة وألف هي انطلاقة الشعب نحو التحرر الأكيد أبدت جبن المستعمر وغباءه كما أبانت عار الهزيمة التي لحق بهم أمام مرأى العالم كله فهذه الثورة ليست ثورة جياح كما كانت فرنسا لفق وتقول بل هي ثورة أبطال شامخين ، ويعود مرة أخرى ليصف جبن الجنود الفرنسيين وخوفهم من الثورة:

ويرتاع مستعمر مستبد وتخشى الخفافيش نبع الضياء¹

لا يتوانى الشاعر لحظة في السخرية من جيش فرنسا الجبان أثناء التحام المعارك وتوجد الصفوف على كلمة النصر:

ويرهب ظل الأسود ابن آوى ويوذى المنافق صدق النداء²

فالذي يحتمي بالنساء لا يمكن أن يعوّل عليه في حرب مع الأسود يقول مصورا خزي جنود الاحتلال الذين يحتمون بالنساء _ العاشقات _ حيث كان المتمردون من الجيش على فرنسا يحيطون حواجزهم بالنساء للاحتماء بهن فرارا من الموت على عكس الجزائري الذي يلهب ساحة الفداء مواجهها الموت بصدرة :

تشيعهن أدمع العاشقا ت ، وهيهات تجدي دموع العشيق³

وهذا هو حال الجنود الذين يصفهم الشاعر بالسلالة الهجينة الذين يمكن لأي سلطة شراءهم وبيعهم كالعشيقة وهذا تذكير لفرنسا أن جيشها هو من المرتزقة والمجرمين في أوروبا عامة والذين جاءت بهم بعدما اشترتهم عن طريق وعدهم بحياة رغدة في الجزائر ، عكس الجزائر التي كان ثوارها فجيئها يقاتل بعزة وكرامة ، حيث جعل الشاعر صورة لكل الاستعماريين مرضى بالشذوذ وغير الأسوياء:

وجنود تباع وتشتري كما تباع وتستأجر السائمة¹

¹ ، مفدي زكرياء، المصدر السابق ، ص62

² المصدر نفسه، ص62

³ المصدر نفسه ، ص28

ب_ صورة ضباط جيش فرنسا:

أتقن الشاعر رسم الصورة المخزية لضباط وقادة وجنود جيش فرنسا المذلولين أمام إرادة وثورة الشعب فصور انكسارهم كما صور انقسامهم على أنفسهم وتشتت وحدتهم ، ضعفهم وانكسارهم ، حيث ذكر أهم جنرالات وضباط الجيش الفرنسي الذين كان لهم ماضي مأساوي في الجزائر وصور هزيمتهم ونهايتهم المخزية.

1_ بيجار:

وهو أحد الضباط الفرنسيين الجلادين ، كان يقود عمليات القمع ضد الفائيين بمهاجمة الجزائر

فيحترار بيجار في أمرها ويحسبها موجة عابرة²

وفي هذه يصور لنا كيف وقف بيجار عاجزا أمام ردة الفعل الجزائريين ، حين صاغوا قرارات الرفض لقراراتهم الراضة لسلطة الاستعمار في تحدي عظيم وشجاعة أذهلت المستعمر.

2_ ماسو :

وهو الجلاد المشهور ، كان يظن ان مجد فرنسا باقي ولكنه أدرك أن حقيقة إن الجزائر مقبلة على انتصار سحيق فأيقن أن غباؤه جعله يظن بأن الثورة لن تكون ولكنها الحقيقة المرة التي غصت في حلقه ، يقول .

وأيقن ماسو وكان تغابى وماعاد يجهل ماسو الحقيقة³

3_ سالان:

المصدر نفسه¹ ، ص 57

²مفدي زكرياء، المصدر السابق ، 27

³ المصدر نفسه ، ص 28

وهو من الجلادين الفرنسيين المتمردين ، ومن أكبر الغلاة الحقيقيين ، فحين أحس غلاة الاستعمار بمحاولات التفاوض مع حكومة الجنرال ديغول تمردوا عليه :

وعاجل سالان صحو السكارى فبدد أحلام ماسو الضعيفة¹

4_ سوستال:

وهو والي فرنسا على الجزائر اشترى ضميره الغلاة فأصبح قائدهم الأحمق:

وسوستال بالزعب طار شعاعا فغصّ ، وما اسطاع يبلع ريقه²

وهذه صور متعددة لمعظم وأهم قادة وجنرالات فرنسا ، فصور الخزي الذي حاق بهم من تمرد الشعب على فرنسا بثورة خالدة ، كما صورّ تصدع الجنرالات وانفصالهم على حكومتهم حين رأوا إمكانية التفاوض مع ديغول ، فأحسوا أن نهايتهم في الجزائر قريبة وهم الذين بنوا آمال لذلك فقاموا بأعمال تخريبية في مختلف ربوع الوطن.

ويضحك فوروم ، من حيوان ، غواه السراب ، فضلّ طريقه

ومن خائرين كأعجاز نخل ضمائرهم في المزاد، رقيقة³

عقد المتمرّدون تجمعا إثر أحداث الثالث عشر من مايو ، وأيدّهم فيها بعض الأبقار المعدّمة المبطرشة من البيادق المأجورة الفاقدي الإيمان والأخلاق والضمير .

ج _ صورة المستوطنين الفرنسيين :

¹ مفدي زكرياء، المصدر السابق ، ص28

المصدر نفسه² ، ص28

³ المصدر نفسه، ص28

صور لنا الشاعر بصورة فنية جميلة كيف تعلق المستوطنون الفرنسيون وحتى طغاة فرنسا بأرض الجزائر ورفضوا مغادرتها بعد استقلال الجزائر وقرار جلاء الجيش الفرنسي في ظرف أقصاه ثلاث سنوات فلم يحترموا الزمان المحدد لهم بالمغادرة وإنما قاموا بأعمال تخريبية رفضا لهذا القرار ورفضاً للمغادرة ودامت فترة إقامتهم أطول ومنهم من بقي طوال حياته فيها ، مغادرتها من الحكومة الجزائرية المستقلة رادعا وصاعقا يقول:

وهام بك الناس ،. حتى الطغاة وما احترموا فيك حتى الزمان
وأغريت مستعمريك، فراحوا يهيمنون في الشرق بالصولجان
ولم يبرحوا الأرض لما استقلت شعوب ، ولم تسكن للهوان¹

وقد جاء هؤلاء المعمرين الذين سكنوا الجزائر بإغراء من السلطات الفرنسية، ومعظمهم من مشردي أوروبا ومجرميهم وعدتهم بوطن لهم وبحقوق وبوظائف وسكنات تحق لهم الرفاهية ، وقد أصبح المستوطنون أصحاب أملاك ونفوذ على أراضي الجزائر وشعبها لذلك هاموا بها وكيف لا وهي التي مثلت لهم خير وطن فكان فراقها عليهم صعبا. فقد بنو أحلام مستقبلهم فيها أتاهم قرار ترحيلهم كالصاعقة.

د _ علماء ومنتقفي فرنسا:

سخر منتقفي وعلماء فرنسا إبان فترة الاحتلال من علماء الجزائر فجاء الرد من الشاعر يذكرهم بالمهزلة التي حاقت عليهم اثر المناظرة التي جرت بين الأمير عبد القادر وبين علماء فرنسا فكانت النهاية أن انبهرت بعلم الأمير وتكائه وبلاغته وكله على مرأى العالم:

وتدمع بالعلم من جادلو ك ، فكنت الضليع وكانوا الحميرا²

3_ فرنسا المدنية:

¹ مفدي زكرياء، المصدر السابق ، ص118

² المصدر نفسه، ص55

يحاول أن يستعرض لنا بعضا من آثار التمدن الفرنسي المتعري من الأخلاق والقيم بصورة تهكمية ساخرة ، فهم يحملون طباع قرود هائمة مشردة ممسوخة على حد قول الشاعر ، وهو ما يرى فيه الفرنسيون فخرا يتباهون به باعتبارهم أنه أحد أهم أسباب تطورهم فيصور لنا يقول:

وقالوا التمدن من طبعنا وتأنف منهم طباع القرود¹

ومن بعض آثار التمدن عندهم هو سفور المرأة وتبرجها وتحليها بأرذل الصفات ولا يختلف عنها الرجل الفرنسي في ذلك .

أ_ المرأة الفرنسية:

تعرض الشاعر لصورة المرأة الفرنسية بصورة ساخرة حيث حملها دلالة الفسق والفساد محذرا جيل الشباب القادم من الاقتراب منها أو الزواج منها فهي رمز للعهر والفسوق والتحرر المنفلت ، ويذكر الشباب بأن الدين الإسلامي يحث على نكاح المرأة الصالحة ذات الدين والخلق الحميد ، فيرسم لنا بذلك ما يمكن أن يحل بمن يتزوجها فلا هو يعرف طعما هنيئا ولا هي تعرف معنى للاستقرار في البيت، لكثرة السهر خارجه في منتصف الليالي وتتعاطى الخمور، ولا هو سيعرف لمن ينسب أولاده هذا التحرر الزائد الذي يسميه الفرنسيون حرية هو فسق وفساد تأبى الشريعة السمحاء ذلك على المسلم يقول:

وبعض تزوج بالأجنبية وقال: مثقفة حضرية

تراقصني وتراقص هذا وذاك... وبعث عن حسن نية

وتختال بالمين جيب دلالات وتستعرض المغريات الخفية

¹ مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص72

وتتركني ... لاجناح عليها وتذهب للسهرة النرجسية

وتقضي الليالي خارج بيتي وذلك من نعم المدنية

وإن ولدت لست أدري لمن؟؟ كفى أنه من بني البشرية¹

كل هذا السفور والانحطاط من المرأة الفرنسية وترى لنفسها انها متمدنة حضرية .

4_ صورة الحركي_العميل لفرنسا_ :

الحركي هو ذلك الشخص العميل الذي ولد في أرض جزائرية من أسول جزائرية باع نفسه للمستعمر وخان بلاده وأرضه ومجد أجداده ، فكان مواليا ولاء تاما لفرنسا يفتخر بذلك ويسهم في تعذيب بني جلدته وقتلهم والوشاية بالمجاهدين منهم فالحركي أو العميل هو أشد خطرا من الفرنسي في حد ذاته وما كان لوطن أن يسقط لولا المثل هؤلاء العملاء الأذال يضربون سهامهم لصالح فرنسا، فمنهم من يندس بين الناس يحاول تغيير نضرتهم للثورة وجذبهم لصالح فرنسا فيحول يقينهم بالي شك، ومنهم من أفصح ولاءه لفرنسا في العلن يقول:

كم اندسّ ، بين المتقف حركي! فأبدل فيه اليقين بشك

يسبح يوما ويكفّر عشرا ويعبث بين عفاف وهتك

ويمعن في الدسّ سرا وجهرا ويغمض مشي النميم بضحك

سواء لديه إذا بان مال ألاذ بإيمانه أو بشرك

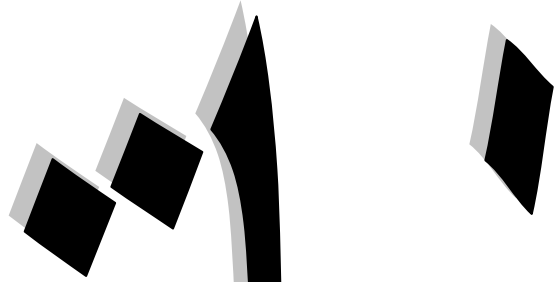
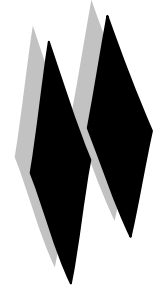
همّوا في البلاد بشهادة زور فويل الجزائر من كيد حركي²

فمن طبائع العملاء أن يبيعوا ضميرهم من أجل المال ، ويتميزون بالخبث والنفاق فإذا حدثهم أعطوك الأمان وأوهموك بأنهم خير ناصحين حتى ما إذا تمكنوا منك ضحكوا منك

¹ مفدي زكرياء، المصدر نفسه، ص104

² مفدي زكريا، المصدر السابق، ص100

لغبائك وهو ما كان يفعله عملاء فرنسا من الجزائريين حيث يتبدى منهم العميل السري ممن
يكتم عمالته في وضح النهار متقيا وناصحا ثم يكفر آخره فيودع كل الأسرار لفرنسا فهم
كلابها المطيعة الوفية .



خاتمه

خاتمة:

تعددت الدراسات التي عنيت بالشعر الجزائري وبشعر مفدي زكرياء فحظيت باهتمام النقاد والباحثين في حقل النضال والثورة المتقد بلهيب الثورة ، إلا أنّ هذه الدراسة قد حاولت أن تأخذ منحى آخر لتغوص في أعماق مخيلة الشاعر مفدي زكرياء فتكشف لنا عن نظريته بوصفه أنا مقهورة لصورة الآخر القاهرة والتي كانت عبر صور عديدة تمكن من تصويرها وإيصالها إلينا بأبلغ ما يكون عند شاعر تجرع مرارة الاستعمار أكثر من أي عربي آخر فارتسمت بذلك الصورة عنده وفق نظرة سلبية حاقدة متمردة على من أراد التكيل بهويتها التي يعتبرها رمز عزته وعنوان بقاءه ، وككل بحث يخلص في نهايته إلى مجموعة من النتائج فقد خلصت دراستنا بمجموعة نتائج أهمها:

1_ على الرغم من التداخل المفاهيمي لمصطلح الآخر وتباينها إلا أنها اتفقت نهاية أن تكون بمعنى الآخر الغريب عن الذات .

_ أن الصورة التي ترسمها الأنا عن الآخر بوصفها أنا قابضة للاحتلال إنما ليست كلها نتاجا للتأثر الايجابي به ، بل معظمها سلبي ناتج عن الإحساس بالشرخ العظيم الذي أحدثه الآخر في ذاتها .

_ أنّ معظم كتابات الأنا عن الآخر لم تكن تعظيما لشأنه كما يعتقد بعض النقاد إنما هي لكشف المغالطات التي نشرها الآخر عنهم فهي بمثابة إعادة طرح مضاد لاسترجاع صورتها الحسنة والوقوف على صورة الآخر الحقيقية المتخفية تحت ألف زيف وقناع.

_ أن الوضع الذي ألزم به الاستعمار الفرنسي الشاعر الجزائري " مفدي زكرياء " أن يعيشه لما فرضه من قوانين تعسفية توقف حبره عن التعبير إلا أنه لم ينجح في ذلك حيث زاده اصرارا في الكتابة والنظم بل عمق فيه الرغبة أكثر لفضح سياسة هذا المحتل الغاشم والكشف عن كل المغالطات التي روّجها للعالم عن الجزائري وعن بطولاته المزيفة في بناء جزائر فرنسية حضرية .

وختاماً أرى أنه من باب الأولى تشجيع البحوث والدراسات المهمة بالنصوص الشعرية التي تناولت صورة الآخر ضمن عملها ، وذلك بالتركيز على صورة الآخر للنهوض بالشعر الجزائري ومحاولة تقديم دراسة مضادة لما وسمه الاستعمار عنّا بعيداً عن المواضيع ذات الدراسة الجمالية أو السياسية والثورية والإصلاحية .

قائمة المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم

أ _ الكتب :

1 الطاهر لبيب : صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه ، بيروت مركز دراسات
الوحدة العربية، دط، 1999

2 أنطوان نعمة وآخرون : المنجد الوسيط في العربية المعاصرة ، دار المشرق للطباعة
والنشر ، بيروت لبنان، 2003

3 أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية ، دراسة بنيوية لنفوس
ثائرة ، دار الأمل للطباعة ، الجزائر ، دط، دت.

4 جمال الدين ابن منظور : لسان العرب / مجلد1، ط3، دار أصالة للنشر ، بيروت
، 1414هـ .

5 جودت الركابي: دراسات في الأدب الأندلسي ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار
المعارف للنشر ، ط6، 1980 .

6 : جعيط هشام: أوروبا والإسلام ، صدام الثقافة والحداثة ، دار الطليعة، بيروت،
2001

7 حسن نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي
العربي ، ط1، 2000 .

8 حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، الفضاء ، الزمن، الشخصيات، المركز
الثقافي العربي الدار البيضاء ، المغرب، ط2، 2009 .

9 حميد الحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي
لطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، الدار البيضاء، 1991 .

10 روجي البعلبكي: المورد الثلاثي قاموس ثلاثي اللغات ، دار العلم للملايين ، ط1،
2005 .

11 ريمون طحّان : الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب لبنان، بيروت، ط1،
1972 .

12 صلاح صلاح: سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي
العربي ، بيروت لبنان ، ط3، 2000 .

13 عز الدين مناصرة: النقد الثقافي المقارن، منظور جدلي تفكيكي ، دار مجدلاوي
للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط1، 2005 .

14 علي حرب ، النص والحقيقة 2 ، نقد الحقيقة المركز الثقافي العربي ، بيروت ،
لبنان ، ط3، 2000 .

15 غاستون باشلار: جماليات المكان المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،
ترجمة :غالب هيليسا ، بيروت لبنان ، ط2، 1984 .

16 فهد حسين ، المكان في الرواية البحرينية ، دراسة نقدية ، فراديس للنشر والتوزيع ،
مملكة البحرين، ط1، 2003 .

17 لوسين معلوف: المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، والمكتبة
الشرقية لبنان، دط، 1991 .

18 محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، محمد محمد ثامر للنشر
، دط، دت ، .

19 مفدي زكرياء، الياذة الجزائر ، إياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،
الجزائر، دط، 1987.

20 ميجان الرويلي، دسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ، لبنان، ط، 4 ، 2005 .

21 محمود علي مكي، ديوان ابن دراج القسطلبي ، المقدمة ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط2 ، 1964.

22 ميمون بن قيس بن جندل ،الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ، ش وتح محمد حسين، مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية ،دط،دت .

_ 23 _ نصر الدين بن غنيسة : عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة، منشورات ضفاف، بيروت لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر ،دار الأمان للطباعة ، ط1،1433هـ _ 2012م .

ب _ الرسائل الجامعية :

24 أمينة سوفلان ،صورة الجزائر في الأدب الفرنسي (غي دوماباسان وألبير كامو) نموذجاً ، رسالة ماجستير،مخطوطة ،كلية اللغة والأدب العربي ،جامعة الجزائر ، 2008_2009 .

25 رحمة شعبان : صورة المدينة في رواية انكسار لمحمد مفلح، رسالة ماستر ، قسم اللغة والأدب العربي، 2014_2015 .

26 قرطي خليفة : المدينة في الرواية الجزائرية العربية ، رسالة ماجستير ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة الجزائر ، 1994_1995 .

27 سلاف بوحلايس: صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث ، معهد الآداب، باتنة، 2008_2009.

28 بن قسيمة سكيمة : صورة الغرب في الرواية الجزائرية، صورة الفرنسي أنموذجاً ،
مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر في الأدب العربي ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الأدب
والفنون ، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 1437_ 1438 هـ ، 2016_
2017 م .

29 عبد الله أوغرب ، الذات والآخر الغربي في روايتي الغربية واليتيم لعبد الله العروي،
مشروع الرواية المغاربية ، الحديثة والمعاصرة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في
الأدب الحديث ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 1432_ 1433 هـ ، 2011_ 2012 م .

ج (المجالات والدوريات:

30 الجابري ، مجلة أبيس ، الجزائر ، العدد 2 السداسي الأول ، 2007 .

31 نجود هاشم الربيعي ، السويد عود الند ، مجلة ثقافية فصلية ، النار ، عدلي الهواري
، ع ف 6 ، خريف 2017 .

32 غيداء أحمد سعدون شلاش ، المكان والمصطلحات المقاربة _دراسة مفهوماتية_ ،
مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج 11، ع2، 2011 .

33 محمد عابد الجابري ، سلسلة مواقف ، ع72، دار النشر المغربية ، ط1 ،
يوليوز، 2005.

د (اللقاءات:

34 نعيمة حاج عبد الرحمان الأزهري ربحاني، لقاء مع محمد عابد الجابري ، مجلة أبيس
، الجزائر ، العدد 2 ، السداسي الأول ، 2007 .

الجرائد :

35 أزرار عمر ، طرف بناء الغيرية ، أزراريات ، جريدة اليومية ، الجزائر ، العدد

5931 ، 10 مارس، 2010

فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
أ _ ب _ ت _ ث	المقدمة
5	ملحق اختصارات
15_ 7	تمهيد: ملامح صورة الآخر_ الاستعمار الفرنسي_ في اليازة الجزائر
36_17	الفصل الأول: في مفهوم الصورائية والآخر بوصفها ناظرا ومنظورا إليه
17	أولا مفهوم الصورة
19_18	أ _ الناحية اللغوية
19	ب _ الناحية الاصطلاحية
20_ 19	ثانيا: مفهوم الآخر :
21_20	أ _ الناحية اللغوية
23_21	ب _ الناحية الاصطلاحية
24_23	ج _ الناحية الفلسفية
36_24	الآداب العربية والغربية وتلقيها لصورة الآخر
27_24	أولا : حضور صورة الآخر في الشعر العربي
24	_ في الشعر العربي القديم
26_24	1_1 صورة الروم والفرس في الشعر العربي
26	2_1 صورة الأسبان في الشعر العربي
27_26	3_1 صورة اليهود
36_27	ثانيا: حضور صورة الآخر الأجنبي في أدب الآخر الفرنسي
28	1_1 صورة انجلترا في الأدب الفرنسي
28	2_1 صورة ألمانيا في الأدب الفرنسي
29	3_1 صورة ايطاليا في الأدب الفرنسي
29	4_1 صورة اليهود في أدب الآخر الأوروبي

36_29	ثالثا: حضور صورة الآخر الاسلامي في المخيال الأوروبي
31_30	1_ موقف الاستهجان
31	1_1 فردينان بروديل
32_31	2_1 كلود ليفي ستراوس
32	3_1 هنري بيران
34_33	2_ موقف الطمس
33	2_ 1 جيرار لوكلير
34_33	2_2 ماكس فيبير
35_34	1_1 صورة الاسلام في اليابان الماضي والحاضر
36_35	2_1 صورة الآخر العربي في فرنسا المعاصرة
61_37	الفصل الثاني: تجليات صورة الاستعمار
40_38	دراسة حالة : مفدي زكرياء
51_41	أولا : صورة الآخر _ الفرنسي _ عبر تجليات المكان:
41	_ مفهوم المكان
42-41	أ_ لغويا:
42-41	ب_ اصطلاحا
42	ج_ أهمية المكان
48-43	1_ الأماكن المفتوحة
45	1_1 الساحات
46	2_1 الأحياء الشعبية
47	3_1 الصحراء
48	4_1 الأسطح
50_49	5_1 النخيل والعبات
51-49	2_ الأماكن المغلقة
50-49	2_1 السجن
51-50	2_2 المسجد

61_52	ثانيا صورة الاستعمار عبر اليازة الجزائر أنموذجا
54-53	1_ فرنسا الطاغية
54	2_ فرنسا المنكسرة
57_55	أ _ صورة جنود الجيش الفرنسي
57_55	ب _ صورة ضباط الجيش الفرنسي
58_57	1_بيجار
58	2_ ماسو
58	3_ سالان
59_58	4_ سوستال
60_59	ج_ صورة المستوطنين الفرنسيين
58	د _ صورة علماء ومتقفي فرنسا
59_58	3_ فرنسا المدنية
59	1_ المرأة الفرنسية
60	4_ صورة الحركي _ العميل _ لفرنسا
64-63	خاتمة
70_66	قائمة المصادر والمراجع
73_71	فهرس الموضوعات
74	ملخص البحث

ملخص

جاءت هذه الدراسة كمحاولة لإمطة اللثام عن صورة الاستعمار في شعر مفدي زكرياء وفي إيالة الجزائر تحديدا ، فموضوع صورة الآخر من المواضيع الهامة التي عني بها الالرس المقارن لما لها من أهمية بالغة في الكشف عن الهوية وتحديد طبيعة العلاقة بين الشعوب ، وقد سجلت حضورها بقوة في أالنا العربي عموما منذ العصر الجاهلي وازدادت قوة في عصرنا الالديث ، حيث تناولنا ملامح صورة الاستعمار ، تجليات الآخر عبر الفضاءات المكانية المفتوحة والمغلقة ، كما حاولنا إبرازها عبر إيالة الجزائر لمفدي زكرياء .

الكلمات المفتاحية: الصورة الفنية- الاستعمار- صورة الاستعمار- الصورائية

Résumé :

Cette étude visait à révéler l'image du colomáisme dans la poésér de mofdi zakaria plus précisément le sejet de l'ímaje de l'autre des sujets importants de la leçon comparée en raison de son importance dans détection de l'identité et déterminer la nature de la relation entre les peuples, sa présence a été fortement dans notre littérature arab et elle est devenue plus puissante á notre époque moderne nous avons essayé de la montrer á travers movdi zakaria .

Les mots clés: photo d'art.-le colonialisme -l'ímaje du colonialisme

- sourate